عبر الزمن 2

د.تامر ابراهيم

حكايات بيتر بيشوب

عبر الزمن 2

حكايات بيتر بيشوب



د.تامر إبراهيم

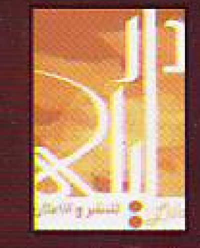
مرة أخرى نعود إلى بريطانيا لكن هذه المرة في لندن عام 1948..

لندن التي خرجت لتوها من الحرب العالمية الثانية، تحاول العودة إلى الحضارة مرة أخرى..

هذه المرة ستكون حكايتنا في ملجأ للأطفال الذين فقدوا ذويهم في الحرب.. وستكون حكايتنا وحكاياتهم عن ذلك السر الرهيب..

عن بيتر بيشوب..





دار ليلى - دايموند بوك

الثمن في مصر 300
و ما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية و العالم

العدد القادم: الذي عاد

مقدمة .

حياتي ليست كحياتك، أو كحياة أي شخص تعرفه..

حياتي هي أوراق متناثرة في عصور مختلفة، و في كل ورقة قصة، تنتظر أن أحكيها لك..

قصة حدثت و لم يذكرها التاريخ لك كاملة، لذا سأقدمها لك كاملة بكل ما تحويه من أهوال..

قصة تحمل رائحة الرعب و مذاقه..

حياتي ليست كحياتك، أو كحياة أي شخص تعرفه..

حياتي هي لحظات تمضي بين هذه القصص، و هذا قدري الذي لم أختره، و لا أعرف له بديلاً..

و اليوم، سأحكي لك واحدة من هذه القصص التي رأيتها وعشتها..

عبر الزمن..

. د . تامر ابراهيم

(1)

هكذا تمضي حياتي.. ليست كحياتك أو كحياة أي شخص تعرفه..

من أعرفهم من الموتى أكثر بكثير ممن عرفتهم أحياء، وهي مزية لم أطلبها ولا يمكنني أن أهرب منها.. فقط أضف على هذا أنني لا أرى..

أعمى كخفاش.. فقط أستعيد بصيرتي حين أكون هناك..

في أي زمن آخر غير زمني..

هكذا تمضي حياتي.. بين الأزمنة وفي رفقة الموتى وهو شيء اعتدته ولم يعد لي سواه..

لا تعرف أختي (سوسن) شيئًا عن حياتي هذه.. هي فقط تراني أحمقًا يرفض الزواج للمرة الثانية، لا لإن الزواج في حالتي يعني الاستقرار، بل لأنه يعني وجود شخص يعني بأعمى مثلي..

إنها لا تبحث لي عن زوجة، بل عن خادمة وهذا ما أرفضه..

ثم إنني تزوجت من قبل، ولم تسفر هذه الزيجة إلا عن طلاق سريع خسرت فيه الكثير.. أكثر مما أردت بكثير، لكن لهذا قصة لن نضيع فيها وقتنا الآن..

الواقع أنني لم أستوعب بعد من مغامرتي السابقة.. من هو هذا الكاهن الأسود؟

من أين أتى؟ ولماذا؟

والأهم من هذا كله.. ما الذي يريده مني؟!

يقول إن نهايتي اقتربت وهذا ما لا أخشاه، فمن لديه حياة ليخسرها سيخشى الموت، أمّا أنا..

فأسوأ ما قد يصيبني أن أتحول إلى واحد ممن أراهم طيلة الوقت.. ثم من يدري؟.. ربما واجهتة مرة أخرى لأفهم أكثر..

ولأن الحياة لا تظل على الحال.. وكل فترة هدوء نسبي تعني أن عاصفة في الطريق، وفي حالتي أنا مجرد أن أرى يعني أن أمامي مهمة ما، فأنا لا أرى سواهم..

الموتى..

هذه المرة كنت أرقد على فراشي في منزلي، أصغي إلى الموسيقى الكلاسيكية التي لا تساعدك إلا على النوم، حين رأيته يدخل من باب غرفتي بخطوات ثابتة وبنظرة أشد ثباتًا..

كان مذبوحًا.. أحدهم ذبحه باحترافية.. أحدهم ذبحه بحيث مزق شرايينه وأوردته وقصبته الهوائية، وربما

أصاب فقراته العنقية، التي لولا أنها ظلت مكانها، لانفصلت رأسه عن جسده..

كان قميصه أسود وهذا يعني أنه كان ذا لون آخر، لكن الدماء التي جفت عليه هي ما منحته هذا اللون الكئيب، أما عيناه فكانتا تنظران في عيني، كأنهما تنقلان رسالة واضحة مختصرة..

انتقم لي..

الواقع أنني لم أحب التأثير الدرامي، لدخوله مع الموسيقى الكلاسيكية، فقمت من مكاني لأغلقها، ثم تحسست طريقي إلى غرفة الإنتقال..

في الداخل ينتظرني المقعد.. أسفله رسمت النقوش وأمامه ترقد المرآة الضخمة، وخلايا عقلي تردد الرموز كأنما تذكرني بها..

صحيح أنني أشعر ببعض الإرهاق، لكني أعرف أن التأخير ليس خيارًا..

حين تأتي المهمة فأنت تستقبلها لتنفذها على الفور، تمامًا كما لو كنت تعمل مع المخابرات.. فقط لا جواسيس ها هنا..

هذا الرجل المذبوح لا يصلح كجاسوس.. على الأقل ليس بصلعته اللامعة المثيرة للإنتباه، وتلك الندبة القديمة في خده الأيسر.. ثم إن جسده الضخم يشي بأنه يهوي الشجار كثيرًا..

الجسد الذي تنتفخ عضلات ساعديه وصدره دون أن تتناسق هذه العضلات مع باقي عضلات الجسد، تعلن أنها لم تأت من المران، بل من العراك الطويل المستمر على مرّ سنوات طوال..

عضلات تجبرك على التساؤل كيف تمكن أحدهم من ذبحه بهذه الصورة؟

إن الإقتراب منه – مجرد الإقتراب – مخاطرة غير مأمونة العواقب، فمن فعلها؟.. ولماذا؟

الآن سأعرف..

ألقي بجسدي المكدود على المقعد.. أترك رأسي يتدلى بين كتفي.. ثم أبدأ في ترديد الرموز..

الإنتقال سيتم خلال لحظة....

* * *

(2)

بريطانيا مرة أخرى.. لم يحدث لي من قبل أن أنتقل إلى ذات المكان مرتين متتاليتين..

لكنني في زمن مختلف على الأقل، وهذا يعني أنه لا توجد قصور وملكات ومؤامرات.. ولنأمل أيضًا أنه لا يوجد كاهن أسود يعلن أن نهايتي قد اقتربت..

إنها بريطانيا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.. لندن المسكينة التي دكتها طائرات هتلر، حتى أحالتها إلى حطام يحاول أن يستجمع شظاياه..

حتى هذا الملجأ الذي أقف أمامه لم يسلم من قصف

الطائرات، فسوره الأيمن مهشم، وآثار الحريق الذي شبّ فيه لا تزال واضحة على واجهة المبنى الرئيسي.. والله وحده يعلم كم من الأطفال هلكوا فيه أثناء الحرب..

إنه واحد من الملاجيء الذي جمع فيه الأطفال الذين فقدوا ذويهم في الحرب، وهم في الداخل يتعلمون أن ينسوا وأن يبدأوا من جديد.. القصف الألماني أدى إلى وفاة أكثر من ثلاثين ألف لندني، وهذا يمنحك فكرة عن كم الأطفال في الداخل..

إنه عام 1948 وفي هذا الملجأ الذي نجت واجهته بمعجزة ما أقرأ (ملجأ القلب المقدس)..

وفيه ستبدأ مهمتي..

* * *

كان أول ما فعلته هو أنني تتبعت الصراخ إلى الداخل، لينتهي بي الأمر في البهو الرئيسي، حيث أخذت مسز (بارتريدج) تفرغ ثورتها في ذلك الرجل الذي وقف أمامها

مستكيناً دون أن يرد عليها بحرف..

وكانت مسز (بارتريدج) تردد بلا إنقطاع:

- إياك أن تكررها.. هل تفهم.. إياك.. إنني لن أسمح بهذا مرة أخرى في هذا الملجأ..

بينها وبين الرجل استقر صندوق متوسط الحجم اكتظ بالملابس والدمى والحلوى، وأخذت مسز (بارتريدج) تشير إليه صارخة:

- لا أريد هذه الأشياء في ملجأي.. تخلص منها.. أحرقها.. الآن..

ومن طرف القاعة اقتربت سيدة شابة رقيقة الملامح، على نحو أظهر كم بدت مسز (بارترديج) شريرة بشعرها الرمادي المعقوص وتلك النظارة الضخمة على أنفها، لتقول بصوت خفيض كأنما تخشى أن يسمعها أحد:

- إنك تصرخين فيه وهو لا يسمعك و..

- اخرسي يا (ميراندا).. إنه خطأك ودورك لم يأت

بعد..

- لكنه لا يفهم حرفا مما تقولينه و..

- قلت لك اخرسي..

هكذا ابتلعت (ميراندا) لسانها في خوف، وأخذت ترمق الرجل الذي ظلّ على وقفته حتى انتهت مسز (بارتريدج) من ثورتها، لتقول في النهاية:

- الآن.. (جوزيف).. خذ الصندوق وتحرك..

ثم إنها تذكرت أن الرجل أمامها أبكم وأصم، لتشير إلى الصندوق بحركة حادة، قبل أن تشير إلى باب البهو، في إشارة بليغة تتغلب على قواعد اللغة الإنجليزية كلها، ليحمل (جوزيف) الصندوق بساعديه المفتولين، وليبتعد به دون أن ينطق بحرف..

لا داعي لوصف الرجل، فلقد رأيته معي منذ قليل.. لكنه لم يكن مذبوحًا هذه المرة!

العجيب أن مسز (بارتريدج) لم يبد عليها أنها تخشاه

على الإطلاق، بل أخذت ترمقه بازدراء واضح حتى ابتعد، ثم تلتفت إلى (ميراندا) بطريقة كادت معها هذه الأخيرة، أن تسقط فاقدة الوعي..

- أمّا أنت.. اتبعيني..

قالتها ثم اتجهت إلى أحد الغرف من خلفها (ميراندا) وأنا مدفوعًا بفضولي، لندخل إلى غرفة مكتب أنيقة، وقفت فيها ثلاث فتيات لا يزيد عمر الواحدة فيهن عن عشرة أعوام، بدا عليهن الرعب، حين دخلت مسز (بارتريدج)، لتستقر خلف مكتبها، ولتبدأ في تسديد نظراتها النارية لهن ولـ (ميراندا)، التي قالت:

- لن يتكرر هذا ثانية.. أقسم لك..

- لا داع للقسم، فهذه المرة سأعمل أنا على ألا يتكرر هذا..

ثم إنها وجهت نظراتها للفتيات الثلاث، لتصرخ:

- آخر فرصة.. من أحضر لكم هذه الهدايا؟

فتبادلت الفتيات نظرة صامتة، قبل أن تقول إحداهن:

- (بيتر بيشوب)..

- هرررراااااء..

فقالت الفتاة الثانية:

- لكن هذا ما حدث.. لقد زارنا ليلة أمس ومعه هذه الأشياء..

هنا التقطت مسز (بارتريدج) تمثالاً من على سطح مكتبها، وقذفته في وجه الفتاة التي لم تجد الوقت الكافي للإنحناء، لتجد أن أنفها قد التصق بوجنتيها، لتتفجر منه الدماء!

وعلى الفور بدأ مزيج من صراخ الألم وصرخات الهستريا من الفتاتين، لتصيح (ميراندا) لأول مرة:

- كيف تجرؤين؟.. إنها لم تكذب..

ثم إنها أدركت أنها صرخت في وجه مسز (بارتريدج)

شخصيًا، لتتراجع إلى الخلف منتظرة أن يهشم تمثال آخر أنفها، بينما سقطت الفتاة على الأرض منهارة تنزف بغزارة، ورفيقتيها يحاولان وقف الدماء بأي شيء..

أنا؟.. أنا لم يكن لي أن أتدخل لحسن حظ (بارتريدج) اللعينة؛ لذا أخذت أتابع ما حدث بعد هذا منتظرًا اللحظة التي سأتجسد فيها ماديًا في هذا العالم..

لن تجد مسز (بارتريدج) ما تضع عليه نظارتها بعد ذلك!

- لو سمعت اسم (بيتر بيشوب) مرة أخرى في هذا الملجأ، سأبدأ في.. في..

وترددت للحظة لتبحث عن العقاب الأمثل، قبل أن تبتسم في ظفر أخيرًا لتقول:

- نعم.. اليوم لن يكون هناك غداء في الملجأ.. وسأعمل على أن يعرف الجميع أن هذا حدث بسببكم.. لنر كيف ستحافظن على حياتكن وسط ملجأ يعج بالأطفال

الجوعى..

وباحتقار أشارت لهن أن ينصرفن، فساعدت (ميراندا) والفتاتان الفتاة المصابة على الخروج، وماهي إلا لحظات حتى كان المكتب خاويًا إلا مني ومن مسز (بارتريدج)...

وعبر النافذة رأيت (جوزيف) يشعل النار في الصندوق، لتتصاعد الأدخنة السوداء إلى سماء لندن الحزينة..

* * *

دعني أصحبك في جولة في هذا الملجأ، فمن المهم أن تتعرف على المكان الذي تدور فيه الأحداث.. هذا سيساعدك على التخيل، لكنه لن يساعدك على تصديق الهول الذي سيحدث فيه بعد قليل..

يتكون المبنى من ثلاث طوابق.. الطابق الأول حيث صالة الطعام وغرفة المديرة مسز (بارتريدج) وغرفة المشرفين وطبيبة الملجأ العجوز (مارثا)..

الطابق الثاني حيث ينام الصبيان وفيه أسرتهم ودورات مياه خاصة بهم، ولا توجد فيه نافذة واحدة سليمة، لدرجة أنه من المستحيل أن تعرف أي نافذة حطمها الحرب وأي حطمها الشغب..

في الحالتين صبيان الملجأ يعانون البرد أيام الشتاء، ولا تبدو آسرتهم الضيقة القذرة أنها تمنحهم الدفء الذي يحتاجونه.. لكنها تمنحهم سقفًا ينامون تحته على الأقل..

الطابق الثالث للفتيات، وهو – على الأقل– أقل قذارة من الطابق الثاني، لكن علامات الإهمال في كل مكان.. نعم.. إنها يحاولون الحفاظ على واجهتهم البريطانية العتيدة التي تمزج بين الرقي والأناقة ها هنا، لكن الإمكانيات محدودة كما هو واضح..

إنهم محظوظون لأن القصف الألماني ترك لهم المبنى ذاته، فمن الذي سيجرؤ ليطالب بالسجاجيد واللوحات على الجدران، أو مفارش نظيفة أو حتى إضاءة في كل غرفة؟!

المشرفين هنا أربعة.. (ميراندا) البائسة التي لا تجرؤ

على شيء و(ايمانويل) بذلك النمش الذي يغطي وجهها، وبلامبالتها التامة لكل ما يحدث حولها.. وللصبيان يوجد مستر (شميدت) العجوز الذي يبدو أنه فقد حاسة السمع بعد أن انفجرت قنبلة على قيد بضعة أمتار منه، ومستر (كونتز) الشاب المفعم بالطاقة، والذي تعتبره مسز (بارتريدج) خطرًا يجب التخلص منه في أقرب فرصة.. لماذا؟

لأنه وسيم!.. هكذا ستحلم به كل فتاة في الملجأ، وستنتظر اليوم الذي يخلصها فيه من عذابها ليهربا سويًا، وهذا ما لن يحدث، فـ (كونتز) لا يميل للمسؤولية بأي صورة من صورها.. إنه هنا لأنها فرصة طيبة لينفذ دورًا قياديًا، لن يمنحه له أي مكان آخر، ويكفيه أن أكثر من ثلاثمائة صبي، يأكلون ويشربون وينامون ويتدربون بل ويحلمون، بناء على أوامره..

يظل لنا التوأم (بيرك) و(مارك).. طباخا الملجأ المرحان طيلة الوقت، واللذان لا يتوقفا عن الغناء أثناء

الطهي رغم إعتراض مسز (بارتريدج)... ربما هما يغنيان ليثيرا أعصاب مسز (بارتريدج)...

الآن أنت تعرف أهم الأشخاص الموجودين في الملجأ، والآن أنت مستعد لتعرف ما الذي سيحدث لهم..

* * *

(3)

لنذهب الآن إلى غرفة الفتيات الثلاث.. اسمهن (جين) و(سارة) والفتاة التي لم تعد لها أنف اسمها (لوريل)..

كانت (لوريل) لا تزال تبكي بحرقة، وإن توقف أنفها عن النزف، بعد أن غطته ضمادة ضخمة مضحكة، صنعتها لها (مارثا) الطبيبة العجوز، التي ما إن رأت إصابتها حتى هزت رأسها بأسف دون أن تجرؤ على التعليق.. لا أحد هنا يعترض على تصرفات مسز (بارتريدج)..

وكانت (جين) تردد:

- لن يمر هذا دون رد..

لتقول (سارة):

- كفانا ما حدث لنا حتى الآن.. لننس الأمر و...

- لا.. يجب أن تدفع (بارتريدج) الشمطاء الثمن..

- كيف؟

- سأطلب منه أن ينتقم.. سأطلب من (بيتر بيشوب) الانتقام.. الليلة سأفعل..

اتسعت عينا (سارة) و(لوريل) هلعًا، وقالت الأولى:

- أنت تعرفين ما سيطلبه منك في المقابل..

فأجابتها (جين) بتصميم:

- أعرف.. وإنني مستعدة.. المهم ألا تمر هذه الليلة دون أن تدفع (بارتريدج) الثمن..

كانت الساعة حينها الثانية ظهرًا، وحين جاءت الساعة الرابعة عصرًا، تجمع أطفال الملجأ في صالة الطعام، ليجدوا الموائد الخالية في انتظارهم، وغناء

التوأمين (بيرك) و(مارك) يتردد في المكان.. أين الطعام؟.. لا طعام!

هكذا تبدأ الحيرة.. ثم تتحول إلى تساؤلات واضحة، ثم ينسى الأطفال خوفهم من مسز (بارتريدج) ويبدأون في الصراخ معترضين، لتأتي هي لهم، قائلة:

- (جين) و(لوريل) و(سارة) سيتكفلن بالغداء اليوم.. صديقهم (بيتر بيشوب) سيحضر لكم الغداء، وإن لم يفعل..

وتبتسم بتوحش، قبل أن تردف:

- فغداءكم سيتكون من (جين) و(لوريل) و(سارة)..

وهذه المرة لا مجال للحيرة فالتساؤل.. فقط الغضب..

مئات الحناجر الطفولية تصرخ تطالب بالطعام، لتخرسهم (بارتريدج) قائلة:

- الصمت وإلا لن يكون هناك عشاء أيضًا..

هكذا يعود الصمت في لحظة، وهكذا تسمع التوأمين

(مارك) و(بيرك) ينشدان:

- و لأن منزلي بعيد بعيد.. سيكون سفري طويلاً طويييييييل..

- اخرسا..

ليطبق صمت القبور على المكان، قبل أن تخرج منه مسز (بارتريدج) بخطوات واثقة..

لكنها قبل أن تخرج تصيح:

- أريد غدائي على مكتبي حالاً..

ليلعنها كل طفل في المكان في سره..

لن يكون هناك غداء اليوم، ولو جرؤ أحدهم على الاعتراض لن يكون هناك عشاء، وربما أظلمت مسز (بارتريدج) المكان أيضًا.. والأطفال يخشون الظلام في كل مكان وزمان..

تلتفت الأعين إلى التوأمين في رجاء، فيواصلان

غناءهما دون أن يردا على أحد.. وفي أحد الأركان يردد طفل صغير ذو نظارة:

- (بيتر بيشوب) سينتقم لنا..

ويرددها من خلفه الأطفال جميعًا..

الهمسات تتردد في المكان حتى تبلغ مسز (بارتريدج) في مكتبها، فتضحك ساخرة، قبل أن تقول للمشرفين الذين تجمعوا في مكتبها يسألون عن وجبتهم:

- هؤلاء الحمقى.. ينتظرون أن ينتقم لهم (بيتر بيشوب)..

ثم إنها تخرج ملفًا من أحد أدراج مكتبها، لتلقي به على سطحه، مردفة:

- كأنهم نسوا أن (بيتر بيشوب) مات منذ عامين..

* * *

في هذا الوقت كان (جوزيف) يمارس نشاطًا عجيبًا

حقًا..

كنت قد قررت أن أتابعه بما أنه الضحية القادمة، كما أنني سأموت غيظًا لو ظللت مع مسز (بارتريدج) أكثر من هذا.. هكذا خرجت من جدران الملجأ إلى ذلك المبنى الصغير قرب بوابة الملجأ الخارجية، والمكوّن من غرفة ودورة مياه، حيث يعيش (جوزيف) وحيدًا..

وهناك وجدته يقرأ!!

لا تسألني كيف تعلم القراءة وهو أصم أبكم، لكن الأهم هو محتوى تلك الرسالة التي كان يقرأها، وهو جالس على فراشه، وعلى وجهه ذات التعبير الجامد الذي رأيته عليه أول مرة..

كانت الرسالة تقول:

- " الليلة عند الجسر.. الساعة الحادية عشر بالضبط.. لا أسلحة.. لا تنس قناعك "

قناعك؟!!

سامحني.. لكن فكرة أن يتحول (جوزيف) في الليلة إلى بطل مقنع، أسخف بكثير من أن أصدقها.. ثم إن (جوزيف) طوى الرسالة، وأخفاها أسفل حشية الفراش، قبل أن يتمدد عليه لينام في لحظة...

الآن سينام وفي الحادية عشرة مساءً سيتحول إلى سوبر (جوزيف) الذي يحارب الجريمة!!

لكن لا بأس.. إلى أن تأتي الساعة الحادية عشر، يمكنني أن أتجول أكثر في المكان، أتعرف على ما يحدث فيه..

* * *

نسيت أن أخبركما أن التوأمين (بيرك) و(مارك) يملكان أسوأ صوتين يمكنك أن تسمعهما في حياتك.. أعتقد أن الفائدة الوحيدة لغنائهما، هي طرد الحشرات من المطبخ الذي يقضيان فيه أغلب اليوم..

كانا يقطعان قوالب الجبن إلى قطع صغيرة، ليوزعانها

في أطباق شبه نظيفة، ثم انضمت إلى كل قطة جبن، بيضة وقطعة من الخبز وبضع حبات من العنب.. هذه هي وجبة العشاء، وإن لم تعجبك، فيمكنك أن تطلب أخرى من (بيتر بيشوب)..

لحسن حظي كان التوأمان ثرثارين.. فالثرثرة كانت بديلاً لا بأس به للغناء.. ومن ثرثرتهما عرفت التالي:

- الأطفال المساكين.. لم يحصلوا على غداء، وهذا العشاء البائس لن يكفيهم على الإطلاق..

- يمكنك أن تذهب وتشتكي لمسز (بارتريدج).. أنت تعرف قلبها الحنون.. ستأمر بمضاعفة الوجبة على الفور، وربما أضافت لها اللحم كذلك.. فقط لا تخبرها أنك أنا..

- إنني لا أمزح.. ثم إنهم يعاقبون على شيء لا ذنب لهم فيه..

- تقصد شبح (بيتر بيشوب)؟.. إنني لا أصدق هذه السخافات..

- حقًا.. أنسيت ما حدث منذ شهرين؟

- ما الذي حدث؟

- الليلة التي جئنا فيها هنا لنجد كل الأوعية مليئة بالدماء.. أنسيت أم أنك تحاول النسيان؟ لقد كانت دماءً يا (مارك).. دماء..

فصمت (مارك) للحظة بدا الإمتعاض فيها على وجهه، قبل أن يقول:

- لم أنس.. لقد كانت مداعبة سخيفة من أحد الصبية هنا.. لا أكثر..

فصاح (بيرك):

- تفسيرك غير منطقي.. من أين سيأتي كل صبية الملجأ بكل هذه الكمية من الدماء؟.. الأمر لا يحتـ...

- الأمر اتفقنا على ألا نتناقش فيه أبدًا.. لو عرفت مسز (بارترديج) به سنطرد على الفور.. ثم كف عن

الثرثرة، فأمامنا عشاءَ ينتظر أن نوزعه على الموائد.. هيا.. أسرع..

هكذا ابتلع (بيرك) لسانه وعاد إلى العمل، قبل أن يدندن (مارك):

- و لأن منزلي بعيد بعيد..

ليرد عليه (بيرك):

- سيكون سفري طويلاً.. طويييييييييييل..

* * *

وفي تمام الساعة السابعة مساءً، تجمع كل أطفال الملجأ في الردهة الرئيسية وقد بدا عليهم الوجوم.. أغلبهم جوعى وكلهم غاضبون..

وأمامهم وقف (كونتز) باعتداد، ليصيح:

- أمامكم ساعة لتنظيف المكان.. اعملوا بجد واعملوا بسرعة..

فبدأ الأطفال في الإنتشار في المكان بخطوات متثاقلة، ليلتفت (كونتز) إلى (شميدت) العجوز، قائلاً:

- هكذا نشغلهم لساعة كاملة، بعدها تخترع لهم شيئًا آخر ليفعلونه..

- ماذا؟.. ارفع صوتك..

- لا تهتم.. ما الذي تفعله هنا على أية حال..

- ما الذي تقوله؟؟

فيشير (كونتز) بكفه بملل ويتجه إلى (ميراندا) و(ايمانويل) اللتان وقفتا في ركن الردهة، يتابعان ما يحدث، ليقول:

- أتوقع أن يزيدوا المكان قذارة لا أن ينظفوه.. إن منعهم من الغذاء اليوم لن يصيبهم بالطاعة..

لترد (ايمانويل) بلا اكتراث:

- ليشعلوا النيران في المكان لو أرادوا.. لم أعد

أهتم..

أمّا (ميراندا) فقالت في خفوت:

- لم يكن ضروريًا ما فعلته مسز (بارتريدج).. إنها تقسو عليهم أكثر من اللازم.. كأنها نست أنهم يتامى لا أهل لهم..

- الأطفال يحتاجون لقبضة من حديد.. ومسز (بارتريدج) تملكها وتستخدمها جيدًا..

- إنك لم تر كيف هشمت أنف الفتاة المسكينة.. كل هذا من أجل صندوق من الحلوى..

أشار لها (كونتز) مصححًا:

- ليست الحلوى.. بل (بيتر بيشوب).. كل مرة يذكر فيها أحدهم اسمه تصاب مسز (بارتريدج) بالسعار.. والواقع أنني لا ألومها كثيرًا.. لقد بالغ الأطفال في نسج القصص حوله..

ثم إنه ابتسم مردفًا:

- والليلة ينتظرون انتقامه.. كأن طفلاً مات في هذا الملجأ منذ عامين قادر على فعل أي شيء سوى أن يظل ميتًا.. أتعرفين كيف مات؟

صدمها السؤال لسبب ما، فظلت (ميراندا) صامتة للحظات، قبل أن تجيب أخيرًا:

- لست أحب التحدث في هذا الموضوع..

وابتعدت بخطوات سريعة، تاركة (كونتز) ينظر بتساؤل إلى (ايمانويل) التي أجابته بلا اكتراث:

- صدقني.. لست أهتم بأي شيء يحدث هنا..

* * *

وفي تمام الساعة التاسعة تم تقديم العشاء للأطفال الجوعى، فلم يتركوا سوى أطباقًا تلمع بعد أن لعقت بضمير.. فقط لاحظ الكل أن مسز (بارتريدج) لم تحضر لتفسد عليهم وجبتهم كعادتها، لكنهم لم يفتقدوها بأي حال..

عادوا إلى غرفهم بعد العشاء، ليستقر كل طفل في فراشه، إلا الفتيات الثلاث (جين) و(لوريل) و(سارة)..

كانت (لوريل) بصوتها -الذي منحته الضمادة على أنفها، رنة سخيفة:

- (جين).. لو كنت ستفعلينها من أجلي، فأنا متنازلة عن حقي.. أرجوكي لا تفعليها..

لكن (جين) أجابت بتصميم:

- إذن فلن أفعلها من أجلك.. لكني سأفعلها..

لتقول (سارة):

- ستحتاجين مساعدة؟

- لا.. فقط ضعوا شيئًا أسفل ملاءة فراشي، ليبدو وكأني نائمة فيه.. والآن.. سأتحرك..

قالتها ثم ابتعدت بخفة، لتختفي في ظلام الممر أمام غرف الفتيات..

كنت أوّد أن أتبعها، لكني لا أملك سوى نصف ساعة، قبل أن يذهب (جوزيف) إلى حيث يمارس نشاطه السري أيًا ما كان ولا أنوي أن أضيعها على طفلة.. ثم إنني لا يمكن أن أتجسد في مكانين في ذات الوقت، لذا سيكون من الأفضل لو أسرعت لآخذ جولة أخرى في المكان، قبل أن أغادره هذه الليلة..

لربما عرفت أكثر عن (بيتر بيشوب)..

* * *

لم يكن هناك ما يستدعي الإهتمام، إلا في غرفة الطبيبة العجوز (مارثا).. العجوز التي يفوق عدد التجاعيد في وجهها، عدد الشعر على رأسك..

لقد كانت تدخن بشراهة وقد جلست أمامها (إيمانويل) تدخن هي الأخرى قائلة:

- يقولون إنها قتلته.. لم تطق الحياة معه أكثر من هذا، فقتلته..

لتتساءل (مارثا) بفضول، وبصوت خشن:

- أواثقة أنت؟.. رباه.. لو كان ما تقولينه حقيقيًا، فلترحم السماء هذا الملجأ..

- لست واثقة ولا أهتم لهذه الدرجة لأتأكد.. لكنني سمعت القصة ذاتها من أكثر من مصدر.. مسز (بارتريدج) قررت ذات ليلة أن زوجها لا يستحق الحياة أكثر من هذا، فملأت محقنًا بالهواء وأفرغته في عروقه بعد أن قيدته إلى الفراش.. ثم إنها لم تكتف بهذا، بل أشعلت فيه النيران وتركتها تلتهمه هو المنزل.. رجال الإطفاء قالوا فيما بعد أن أكثر شيء تفحم في المكان كان مستر (بارتريدج) ذاته..

هزّت (مارثا) رأسها في أسف، وقالت:

- يا للمسكين..

- بل قولي يا للمحظوظ.. لقد تخلص منها نهائيًا..

إذن فمسز (بارتريدج) ذات تاريخ حافل.. هذه المرأة تتمتع بسادية غير طبيعية، وتعرف كيف تستفيد منها حقًا..

المهم الآن هو أن أعرف شيئًا ما عن (بيتر بيشوب)، لذا تركتهما وواصلت جولتي في المكان، لتمر النصف ساعة دون أن أظفر بشيء..

الآن موعدنا مع.. مع..

مع سوبر (جوزيف)!!

* * *

(4)

في اللحظة التي وصلت فيها إلى مقر (جوزيف) كان هو يغادره، حاملاً حقيبة صغيرة وملامحه الجامدة، ليخرج من الملجأ في حذر.. ومن وراءه انطلقت أنا خلفه كظله، لتتسارع خطواته تدريجيًا قبل أن تتحول إلى عدو واضح وصريح..

رجل في عمره لن يعدو إلا لثلاث أسباب.. أن يهرب، وأنا لا أرى ما يطارده.. أن يكون على عجلة من أمره، وهو ما لا يفسر حماسه الزائد.. أو أنه يعدو من باب الإحماء..

إنه يريد أن يكون في قمة لياقته لسبب ما..

هكذا تبعته إلى الجسر حيث انتظره رجل أنيق الملبس، يرتكن على عصا سوداء مدببة الطرف، نظر إلى (جوزيف) ببرود، ليقول:

- تأخرت..

فلم يجبه (جوزيف) بل أخذ ينظر له في ثبات، ليقول الأنيق:

- اتبعني..

قالها ثم تحركنا كلنا عبر سلسلة من الحارات الضيقة الشبه مهدمة، حتى وصلنا إلى مبنى منعزل، طرق الأنيق على بابه، ليفتح لنا رجل آخر لا يقل أناقة عنه..

- أهذا رجلك؟

- نعم هو... هل بدأتم؟

- حالاً سنبدأ.. اطلب من رجلك أن يرتدي قناعه..

هكذا التفت الأنيق الأول إلى (جوزيف) ليقول مشيرًا إلى الحقيبة الصغيرة التي يحملها:

- كالمعتاد..

ففتح (جوزيف) الحقيبة ليخرج منها قناعًا معدنيًا ذو أطرف حادة مدببة، وارتداه بسرعة ليخفي به ملامحه، ثم نزع قميصه، لتظهر عضلات صدره وساعديه، منذرة بالويل لمن يحاول الإقتراب منها..

أفسح لهما الأنيق الثاني الطريق، لندخل ولنهبط السلم إلى القبو حيث ارتفع الصخب عاليًا، لأجدني في آخر مكان أتوقع أن أصل إليه..

حلبة مصارعة!

في منتصف القاعة استقرت الحلبة، ومن حولها تجمهر حشد ضخم مزج المتأنقين بعمال المصانع بكل من لديه المال الكافي للمراهنة، وعلى الحلبة وقف رجل بدا معه (جوزيف) كطفل رضيع، مقارنة بضاخمته وشراسته،

وقد رفع ذراعيه في السماء، عارضًا جسده للجمهور المتعطش للقتال..

التفت الأنيق الأول إلى (جوزيف)، ليسأله:

- مستعد؟

فلم يجبه (جوزيف).. بل اتجه إلى الحلبة بخطوات واثقة، ليتوقف منافسه عن المرح وليلتفت له والسخرية واضحة على وجهه..

وقبل أن تبدأ المذبحة، قفز رجل نحيف إلى الحلبة، ليصيح في الجمهور، محاولاً إخراسه:

- الليلة.. والآن.. ستبدأ المبارة التي انتظرتموها طويلاً.. الصراع الأخير بين.. (مكارثي العنيف) و(جووووووزيف)..

فانفجر الجمهور في صراخ هستيري وقد فقد صبره.. إنهم يريدون الدماء ولا سواها..

فصاح النحيف:

- ولأنها مباراة نهاية الموسم، ستكون القاعدة كالتالي.. الرجل الذي سيظل على قدميه هو المنتصر.. لا أسلحة.. لكن فيما عدا ذلك، فالكل مسموح به.. المباراة ستبدأ... حالاً..

ثم إنه قفز خارجًا من الحلبة، ليقفز (جوزيف) على منافسه في ذات اللحظة..

ولا داع لوصف المباراة، لكن لنقل أن الدماء كانت تتناثر على وجوه المحيطين بالحلبة طيلة الوقت.. إن قاعدة (آخر رجل يظل على قدميه) تعني أن الآخر قد مات على الأرجح..

ووسط الجمهور سمعت النحيف، يتحدث مع الأنيق الأول الذي أتى بـ (جوزيف) إلى هنا، قائلاً:

- رجلك سيخسر الليلة.. فارق الحجم ليس في صالحه.. و(مكارثي) لئيم ذو خبرة..

- حقًا؟.. لنر إن كان سيفعلها أم لا..

- ثم إنني لا أفهم لماذا يرتدي رجلك هذا القناع؟.. أيخشى على نفسه من الشهرة؟

فأجابه الأنيق ببرود:

- لقد فقد سمعه وقدرته على التحدث بسبب ضربة على رأسه في أحد المباريات قبل أن يأتي إلى هنا.. هكذا لم يعد يملك سوى عيناه، ولو خسرهما سينتهي أمره كمصارع وكرجل..

- عظيم.. لنأمل أن يترك له (مكارثي) عينًا واحدة على الأقل هذه الليلة..

ثم ابتعد ليذوب وسط الجمهور الذي تعلقت عينه بمباراة لم ير لها مثيلاً من قبل.. يكفي أن تعرف أن لكمات (مكارثي) كانت تترك انبعاجًا على قناع (جوزيف) المعدني، بينما تمكن هذا الأخير من تهشيم أحد ضلوع (مكارثي) الذي لم يبد عليه الألم..

وبين الجمهور زادت الرهانات لصالح (مكارثي)، وقد

أخذ النحيف يجول وسطهم كالنحلة، يجمع الجنيهات ويدوّن الأسماء.. أمّا أنا.. فلم أجد أمامي سوى انتظار أن يهلك أحدهما لتنتهي المباراة..

ويبدو أن انتظاري لن يطول، فها هو (جوزيف) يترنح وقد أخذ (مكارثي) يدق عظامه، بقبضات أدمتها الأطراف الحادة على قناع (جوزيف) الذي انهار على ركبتيه فجأة، ليصرخ أغلب الجمهور فرحًا، بينما ضمّ (مكارثي) قبضتيه، ليهوي بهما على رأس (جوزيف)..

ومن أسفل قناع (جوزيف) سالت الدمآء لتبلغ عنقه فصدره، قبل أن يسدد هو لكمة مباشرة إلى قصبة ساق (مكارثي)، ليدوي صوت تهشم العظام في المكان، يعقبه صرخة (مكارثي) الرهيبة..

واحدة من أشنع صرخات الألم التي استمعت لها في حياتي، قبل أن يهوي (جوزيف) على قصبة الساق الأخرى، لينتهي الأمر..

تكوّم (مكارثي) على الأرض وهو يصرخ بلا انقطاع،

بينما هبّ (جوزيف) واقفا، لينظر إلى الجمهور الذي أخرسته الصدمة..

وقبل أن يعود الجمهور لصرخاته الهستيرية، كان (جوزيف) يغادر الحلبة في هدوء..

* * *

(5)

بعد أن اغتسل ونزع قناعه وارتدى قميصه، غادر (جوزيف) المكان مع الأنيق الذي حمل هذه المرة حقيبة اكتظت بالأوراق النقدية.. وعند الجسر فتحها، ليناول (جوزيف) نصيبه المعتاد، فدسّه (جوزيف) في جيبه في صمت، قبل أن ينطلق في طريقه والأنيق في اتجاه آخر..

هكذا يتم الأمر بينهما كما هو واضح.. وحين يأتي موعد المباراة القادمة، سيرسل له الأنيق خطابًا في المكان والميعاد..

وسيلة قاسية لجمع المال، لكن خيارات من هم في

حالة (جوزيف) محدودة.. الواقع أنني أتساءل عن حاجته للمال أصلاً وهو لا يفعل شيئًا سوى حراسة هذا الملجأ...

ثم إن هوايته هذه تزيد من عدد من يرغبون في قتله.. وهذا ما سيحدث على أية حال، لكن من سيفعلها أولاً؟؟

وصلنا إلى الملجأ، ليلاحظ مثلي أن كل طوابقه مضاءة، ومن خلف النوافذ بدت الحركة غير طبيعية.. ثمة شيء ما حدث هنا..

هزّ (جوزيف) كتفيّه وعاد إلى غرفته، بينما لم احتمل أنا فضولي، لأسرع إلى الداخل، لأجد أن كل من في الملجأ قد انقسموا إلى نصفين.. نصف يبحث عن شيء ما ونصف آخر يصرخ في فزع!

ثمة شيء ما حدث هنا.. شيء رهيب..

كان التجمع الأكبر عند غرفة مكتب مسز (بارتريدج)... هناك وقفت (ميراندا) تبكي و(إيمانويل) الذي [illegible] الوجوم، بينما أخذ (كونتز) يوزع

أوامره على آذان لا تصغي له..

اخترقت الجمع وعبرت إلى غرفة المكتب لأجدها كما رأيتها آخر مرة، وإن صبغت جدرانها باللون الأحمر..

لون أحمر لزج أخذ يسيل على الأرضية ببطء، وعلى سطح المكتب استقر رأس ذو شعر رمادي معقوص، ووجه حملت ملامحه نظرة فزع رهيبة..

رأس مسز (بارتريدج)!!

* * *

وكان الكل يبحث عن جسدها بلاجدوى..

أحدهم فصل رأس مسز (بارتريدج) عن جسدها، وتركه على سطح مكتبها، بينما اختفى الجسد ذاته بلا أثر..

لم يتركوا ركنًا في الملجأ لم يبحثوا فيه، لكن الجسد الضخم لشيطانة الملجأ لم يظهر.. وتطوع [illegible] اسكوتلانديار، ليجلس الكل في النهاية في انتظار مجيئهم..

وببطء تصاعدت الهمسات في المكان تردد اسمًا واحدًا..

(بيتر بيشوب)...

أمّا أنا فلم يكن لدي سوى اسم آخر لأردده، وأنا أجوب المكان بحثًا عن صاحبته..

(جين)...

* * *

لكنها لم تكن هناك هي الأخرى، وهي كارثة لم تكن مسز (بارتريدج) لتسمح بها لو كان رأسها لا يزال يتصل بجسدها المفقود..

فقط وجدت رفيقتيها (سارة) و(لوريل) في أحد الغرف تتظاهران بالبحث، وتتهامسان:

- فعلتها (جين)..

- لقد قالت أنها ستفعلها، لكني لم أتصور أن تتمادى إلى هذا الحد..

- (بيتر بيشوب) لا يعرف أنصاف الحلول.. (جين) أخبرتني بهذا سابقًا.. لقد كان ينتظر إشارتها..

- إنها لم تخبرنا قط كيف كانت تتصل به..

- إنه سرها الذي حافظت عليه طويلاً.. لا أحد يعرف طريقًا لـ (بيتر بيشوب) سواها، وهو الذي اختارها على حد قولها..

- أتظنين أنها ستعود؟

- لا أعرف.. لقد أخبرتنا عن الثمن الذي عليها أن تدفعه لو أرادت أن ينتقم (بيتر بيشوب) لنا.. رباه.. مجرد التفكير في هذا الثمن يصيبني بالرجفة..

- ستأتي الشرطة..

- عرفت.. لكنهم لن يجدوا جثتها.. لا أحد يجد ما يأخذه (بيتر بيشوب)..

* * *

(6)

عند هذه المرحلة لم يعد هناك شيء يهمني سوى أن أعرف كل شيء ممكن عن (بيتر بيشوب)، ولا يمكنك أن تلمني على هذا..

بصورة ما أصبح هذا الطفل الذي مات منذ عامين أهم من كل الأحياء الذين يعج بهم هذا الملجأ، وحتى (جوزيف) الذي عليّ أن أتابع ما يحدث له، لم يفعل شيئًا سوى النوم في غرفته متجاهلاً كا ما حدث ويحدث، إن كان عرف به أصلاً..

لكن كيف سأعرف؟؟

إنني لن أتجسد الآن لأبدأ في توجيه أسئلتي للكل، فلست هنا لهذا الغرض، لا أمل لي إلا أن يكون ما حدث هذه الليلة سيدفع البعض للثرثرة.. على الأقل ستدفعهم التحقيقات للثرثرة، وهذا ما سيحدث حين يصل رجال اسكوتلانديار..

ولأن رجال اسكوتلانديار يستحقون سمعتهم، لم تمض نصف ساعة، حتى كان رجالهم يملأون المكان، ويعزلون الأطفال في غرفهم..

التقطوا الكثير من الصور في غرفة مكتب مسز (بارتريدج)، ثم أخذ أحدهم رأسها إلى حيث سيشرحونه، بينما بدأ المحقق (كريستوفر فيسك) في استجواب الكل بالترتيب..

بدأ بـ (إيمانويل) لسوء حظه، فلم يحظ منها سوى بـ:

- شيء مؤسف حقًا.. لكن لا بأس.. كلنا سنموت يومًا ما.. لقد كنت في فراشي حين حدث هذا ولا أعرف

أكثر من هذا.. شيء مؤسف، لكن لا بأس...

هكذا صرفها المحقق (فيسك) قبل أن يرتكب الجريمة الثانية في هذا الملجأ، وأتى بـ (كونتز) الذي كان لديه أشياء أكثر ليذكرها:

- أعداء؟.. الملجأ كله كان يكرهها.. ليس إلى درجة قتلها بالطبع، لكن مسز (بارتريدج) لم تهتم يومًا بأن يتقبلها أحد في المكان.. ثم إن السؤال الأهم هو كيف تمكن من قتلها من فعلها؟.. كيف نزع رأسها دون أن تقاومه وأن يشعر بها أحد؟.. وأين أخفى جثتها؟

قالها فأجابه (فيسك):

- أنت هنا لتجيب على الأسئلة لا لتطرحها.. أين كنت وقت حدوث الجريمة؟

فتردد (كونتز) قبل أن يجيب في صدق:

- كنت أراقب (ميراندا)..

- تراقبها؟.. لماذا؟

فيزداد تردد (كونتز) قبل أن يجيب أخيرًا:

- فقط لا تخبرها أنك عرفت هذا مني.. لكن (ميراندا).. لكن (ميراندا).. لكن (ميراندا) تعمل مع الألمان..

- !!!

* * *

يقول (كونتز):

- عرفت هذا أول مرة منذ شهرين.. حين رأيتها تقف عند بوابة الملجأ تتحدث مع رجل طويل بارد الملامح، وحين رأتني.. تركته وأسرعت عائدة إلى الملجأ.. بعد هذا بأيام صادفت هذا الطويل البارد في حانـ.. أقصد مقهى بالقرب من هنا.. كان يجلس مع اثنان لا يقلان عنه طولاً أو برودًا، وحين مررت من جوارهم سمعتهم يتهامسون بالألمانية..

- ما تقوله خطير للغاية يا مستر (فيسك).. أهذا كل

شيء؟

- لا.. في مرة ثانية وجدتها تقرأ خطابًا كتب بالألمانية.. كانت تقرأه وتسجل ملاحظاتها في نوتة صغيرة، ولكني لم أتمكن من معرفة محتوى هذه الرسالة.. ثم إنني لا أفهم لماذا تعمل مع الألمان وقد هزموا بهذه الصورة المخزية؟.. أخشى أنهم يدبرون شيئًا ما وأن تعود الحرب مرة أخرى إلى لندن..

فأجابه (فيسك):

- لا تخف.. سنتولى نحن هذا الموضوع من هذه النقطة.. فقط لا تحدث فيه أحدًا مهما كان السبب..

- لن أفعل.. صدقوني، ليس من الحكمة أن تثرثر هنا في ملجأ (القلب المقدس)...

* * *

أمّا طبيبة الملجأ العجوز (مارثا)، فكانت صاحبة أفضل استجواب في هذه الليلة.. الواقع أنني وبعد أن

أصغيت لإستجوابها، تمنيت أن يستجوبوها إلى الأبد، كيلا تصمت أبدًا!

كانت المرأة تتمتع بذاكرة فوتوغرافية وتاريخية مذهلة، وكان اهتمامها بالتفاصيل، يؤهلها لتكون خليفة (أجاثا كريستي).. خذ عندك على سبيل المثال:

- نعم أذكر أين كنت وقت حدوث الجريمة.. لقد كنت في فراشي في غرفتي أقرأ في (الدليل الكامل لفن التشريح).. كنت أقرأ في صفحة 223 تحديدًا، تلك التي تتحدث عن أورام القولون التي تسبب تقرحات في..

- كفى!.. دكتورة (مارثا)... ألديك مشتبه فيه؟.. شخص تعتقدين أنه قاتل مسخ (بارتريدج)؟

- بالطبع.. إنه (بيتر بيشوب)!

- الطفل الذي مات منذ عامين..

- و من قال أنه مات؟.. إنني أردد ذات القصة منذ

ليلة اختفاءه ولم يصدقني أحد.. (بيتر بيشوب) لم يمت.. إنه حي.. وهو من قتل مسز (بارتريدج)..

* * *

(7)

تقول (مارثا) وقد بدأت تدخن:

- سأحكي لكم قصة (بيتر بيشوب).. كان في العاشرة حين جاء إلى هنا.. وكانت معه أمه، مما أثار حيرتنا على الفور.. نحن هنا نأوي الأطفال الذين فقدوا ذويهم، فلم تأتي أم بابنها لتتركه هنا؟ ولكن أمه لم تتركنا لحيرتنا طويلاً.. لقد أخبرتنا مسز (بيشوب) أن هذا الطفل ليس ابنها، وأن زوجها عاد به من أحد سفرياته، وقرر تبنيه فجأة رغمًا عن إراداتها.. وبما أن زوجها مات في الحرب فلم تعد مضطرة للعناية به..

- من أين أتى به مستر (بيشوب) بالضبط؟

- لم تخبرنا مسز (بيشوب).. هي نفسها لم تعرف.. كل ما أخبرتنا به أنها تخشى هذا الطفل، وأنها لا تطيق وجوده في منزلها.. هكذا قبلناه، وهكذا رحلت مسز (بيشوب) ولم تعد قط.. لكني تفهمت خوفها من (بيتر) حين رأيته.. كان (بيتر) نحيلاً ذا شعر أصفر قصير وعينيين سوداوين واسعتين بشدة.. واسعتان كأنه مذهول، لكنه لم يكن كذلك.. لقد كان يبتسم نصف ابتسامة، وكانت ثقة عجيبة تطل من كل خلجة من خلجاته..

- و ما المخيف في هذا؟

- كل شيء.. إنني أتحدث عن طفل في بلد غريب عنه، والشخص الوحيد الذي يعرفه مات في الحرب، وهو الآن مقدم على الحياة في ملجأ لا يبعث على البهجة كما ترى.. المعتاد أن يبكي الطفل بحرقة أول ليلتين هنا، قبل أن يعتاد كل شيء.. ثم إن ابتسامته لم تكن تليق بسنه على

الإطلاق.. كانت ابتسامة رجل ناضج ينوي شيئًا ما... وبعد أن انضم لنا عرفت أنني لست وحدي من أخشاه..

- هل كان الأطفال يخافونه؟

- بل الكبار.. الأطفال وقعوا في غرامه وأصبحوا تابعين له على الفور.. لكن الكبار كان يخشونه لسبب مجهول وكانوا يتحاشونه كالطاعون.. خاصة مسز (بارتريدج).. لقد كانت تعتبره مرضًا خبيثًا أصاب الملجأ وكانت تتمنى التخلص منه بأي طريقة.. خاصة حين بدأ الأطفال في.. في..

- في ماذا؟

- في شرب دماء القطط..

- !!!

* * *

تقول (مارثا):

- كانت البداية حين جاءني أحد الأطفال وهو يشكو

من ألم في معدته، وهنا وفي ظل غياب أدوات الفحص والتحليل، لم يكن أمامي سوى أن أمنحه شرابًا ليقيء.. افترضت أنه شرب شيئًا ما لم يكن له أن يشربه، وأردت أن أخلصه منه قبل أن يتوغل في أحشاءه.. ولكن حين بدأ القيء فوجئت بكم الدماء التي أغرقت الفراش الذي رقد عليه الطفل.. أصبت بالهلع.. وكان أول ما فكرت فيه هو دوالي المريء الناتجة عن تليف الكبد، لكن.. لكنه كان طفلاً صحيح البدن ولم يكن يشكو من أية أعراض، وقبل أن أقرر تحويله إلى المستشفى، فوجئت به يقول إنها دماء قطة.. قطة ذبحها (بيتر بيشوب) وأغراه بشرب دماءها..

- لماذا؟

- لم يخبرني الطفل، فأرسلت في استدعاء (بيتر بيشوب).. رباه.. لكم كنت أخشاه!.. لقد جاءني ونصف الإبتسامة على وجهه وتلك الثقة المفرطة التي لا يوجد ما يبررها.. وحين سألته أجابني بهدوء، لأن شرب دماء القطط سيعيده للحياة حين يموت..

- ماذا؟!!

- هذا ما قاله.. وهذا ما ردده كل الأطفال الذين أتوا بعده.. أسماءهم بترتيب مجيئهم إليّ هو (جون) و(مايكل) و(ايزابيلا) و..

- لا داع.. وكيف مات (بيتر بيشوب)؟

- ليلة الحريق.. منذ عامين.. النيران اشتعلت في المكان فجأة دون تفسير، فأسرعنا نخرج الجميع، وحين أطفأوا النيران عثروا على جثته.. أو هكذا حسبوها.. فأنا واثقة أنه لم يمت ليلتها..

قطب (فيسك) طويلاً ليستجمع هذا كله في رأسه، قبل أن يصل إلى النتيجة التي تليق بكل ما سمعه..

هذه العجوز المسكينة تخرف!

هكذا قال لها بلهجته الصارمة:

- سأكتفي بهذا القدر الآن.. أشكرك على تعاونك

وسأرسل لك إن احتجتك ثانية..

- لكن...

- شكرًا دكتورة (مارثا)..

ثم إنه نظر إلى أحد مساعديه ليقول:

- تأخر الوقت ولن يمكنني استجواب الجميع الليلة.. تأكدوا من تأمين المكان، وامنعوا أي شخص من الدخول أو الخروج منه حتى الصباح..

وعاد يفكر قليلًا، قبل أن يردف:

- سنقضي ليلتنا هنا أيها السادة..

* * *

هكذا حصلتُ -أخيرًا- على فرصة للتجول في المكان مرة أخرى لأبحث عن (جين)...

لكنها لم تكن هنا.. الفتاة اختفت تمامًا ولا ألوم المشرفين هنا لو لم يكتشفوا اختفاءها حتى الآن.. ما حدث

ويحدث أهم بكثير..

هكذا لم يعد أمامي سوى العودة إلى غرفة (جوزيف) لأتأكد من وجوده، قبل أن يختفي هو الآخر لأقضي وقتي كله في التجول كشبح من أشباح هذا الملجأ...

وجدته نائمًا فأخذت أرمق الملجأ من الخارج وقد بدأت النوافذ تظلم، واحدة تلو الأخرى، قبل أن يسوّد الظلام المكان..

هكذا تنتهي هذه الليلة العجيبة..

وغدًا يبدأ يوم جديد..

* * *

(8)

في صباح اليوم الثاني، وأثناء تحضيرهما للإفطار، لم يغن التوأمان (مارك) و(بيرك)..

من يجرؤ على الغناء في ملجأ، نزع رأس مديرته قبل أن يختفي جسدها، ليبيت فيه رجال سكوتلانديار مع الأطفال المرعوبين؟

كان الإفطار يتكون من شريحة من اللحم، مع ملعقتين من البازلاء والكثير من الحساء، وهي وجبة تليق بغداء، لكن مسز (بارتريدج) كانت تردد دومًا أن الإفطار أهم من الغداء..

الإفطار سيمنحك الطاقة التي سيحتاجها جسدك طيلة اليوم، أمّا الغداء فهو طريقك للبدانة، ومسز (بارتريدج) كانت تمقت البدانة كالجحيم.. لهذا يتكون الغداء من الخضروات والحساء وقطعة من الخبز فقط..

كانت مشكلة (مارك) و(بيرك) الوحيدة هي الحصول على اللحم، في مدينة تبحث أغلب مبانيها عن الكهرباء، لذا اتفقا مع أحد التجار ليمدّهم بحاجتهم من اللحوم يوميًا، على أن يحصل من إدارة الملجأ على مبلغ ثابت شهريًا، وهي صفقة لم تحبها مسز (باتريدج) كثيرًا..

لذا تضاءل حجم شريحة اللحم في الإفطار، بحيث تحول من شريحة تغطي نصف الطبق إلى أخرى تغطي ثلثه، إلى شريحة بائسة تغطي جوعك بالكاد..

في ساعات الصباح الأولى، يمر التاجر قرب بوابة الملجأ الخلفية، ليترك لهم صندوق اللحم المجمد بعناية، لينقله (مارك) و(بيرك) إلى الداخل حين يستيقظا، ليبدأ

عملهما في تحويل شرائح اللحم الضخمة إلى أخرى أقل حجمًا وأكثر توفيرًا، قبل أن تبدأ عملية الطهو التي تستغرق منهما ثلاث ساعات على الأقل..

وخلال الساعات الثلاث أخذ التوأمان في إعداد الموائد والصحون، وقد خيّم عليهما الصمت، قبل أن يقول (بيرك) فجأة:

- يقولون أن (بيتر بيشوب) فعلها..

فانتفض (مارك) وصاح:

- أجننت؟.. أهذا وقت مناسب لذكر هذا الاسم؟

- الكل يذكره..

- إلا نحن.. ليذكره الكل، لكننا لا نعرف شيئًا.. نحن لا نخرج من المطبخ ولا نعرف شيئًا يحدث خارجه.. اتفقنا؟

- لا أفهم لماذا تخاف رجال سكوتلانديار بهذه الصورة؟

- لأنهم لا يفشلون قط.. هل فكرت فيّ هذا سابقًا؟.. كل الجرائم التي عملوا فيها توصلوا فيها إلى الجاني مهما بلغت صعوبة الأمر.. ألم تفكر في سر هذا؟

- لأنهم بارعون.. لهذا حصلوا على شهرتهم..

- بل لأنهم يلفقون.. لو لم يظهر الجاني، فأي شخص يصلح أن يكون الجاني لو استجوبوه بالدقة اللازمة.. أنت تفهم ما أعنيه؟

بدت الحيرة على (بيرك) للحظات، قبل أن يفهم أخيرًا ليهتف في ذعر:

- أتظنهم؟.. لا.. مستحيل..

- حقًا؟.. ضع نفسك مكان هذا المحقق (فيسك).. جريمة كهذه حدثت في ملجأ، لو لم يعثر فيها على الجاني، فما هي فرصته للترقي؟.. لكن لو اكتشف لأنه (دقيق) في استجوابه أن التوأمين اللذين يعيشان في المطبخ هما الفاعلان.. لو تمكن من (إجبارهما) على الإعتراف..

- لأنهم لا يفشلون قط.. هل فكرت في هذا سابقًا؟.. كل الجرائم التي عملوا فيها توصلوا فيها إلى الجاني مهما بلغت صعوبة الأمر.. ألم تفكر في سر هذا؟

- لأنهم بارعون.. لهذا حصلوا على شهرتهم..

- بل لأنهم يلفقون.. لو لم يظهر الجاني، فأي شخص يصلح أن يكون الجاني لو استجوبوه بالدقة اللازمة.. أنت تفهم ما أعنيه؟

بدت الحيرة على (بيرك) للحظات، قبل أن يفهم أخيرًا ليهتف في ذعر:

- أتظنهم؟.. لا.. مستحيل..

- حقًا؟.. ضع نفسك مكان هذا المحقق (فيسك).. جريمة كهذه حدثت في ملجأ، لو لم يعثر فيها على الجاني، فما هي فرصته للترقي؟.. لكن لو اكتشف لأنه (دقيق) في استجوابه أن التوأمين اللذين يعيشان في المطبخ هما الفاعلان.. لو تمكن من (إجبارهما) على الإعتراف..

سيصبح بطل المدينة..

صمت (بيرك) هذه المرة وإن بدت الصدمة على ملامحه، فاقترب (مارك) منه، ليربت على كتفه، وليقول:

- عزيزي.. نحن لا نعرف شيئًا ولن نعرف.. فقط تذكر هذا وستمر أيامنا بخير..

ثم عاد ليواصل توزيع الأطباق، قبل أن يتذكر شيء ما فجأة، ليقول:

- (بيرك).. لماذا يبدو الـ.. لا عليك.. انس الموضوع..

* * *

وحين بدأ الإفطار كان المحقق (فيسك) ورجاله يجلسون على الطاولة المجاورة لطاولة المشرفين والدكتور (مارثا)، الذين أخذوا يتهامسون في توتر.. أمّا (جوزيف) فتناول إفطاره في غرفته خارج المبنى كعادته..

سيصبح بطل المدينة..

صمت (بيرك) هذه المرة وإن بدت الصدمة على ملامحه، فاقترب (مارك) منه، ليربت على كتفه، وليقول:

- عزيزي.. نحن لا نعرف شيئًا ولن نعرف.. فقط تذكر هذا وستمر أيامنا بخير..

ثم عاد ليواصل توزيع الأطباق، قبل أن يتذكر شيء ما فجأة، ليقول:

- (بيرك).. لماذا يبدو الـ.. لا عليك.. انس الموضوع..

* * *

وحين بدأ الإفطار كان المحقق (فيسك) ورجاله يجلسون على الطاولة المجاورة لطاولة المشرفين والدكتور (مارثا)، الذين أخذوا يتهامسون في توتر.. أمّا (جوزيف) فتناول إفطاره في غرفته خارج المبنى كعادته..

وإلى الآن لم تظهر (جين)!

فقط كانت رفيقتيها (سارة) و(لوريل) تتهامسان بتوتر:

- (جين) لم تعد حتى الآن..

- أيجب علينا ان نخبر الشرطة؟

- لا.. لن أخاطر بالتحدث معهم.. سننتظر عودة (جين)..

- و ماذا لو لم تعد؟

- أيًا ما كان مكانها.. سيكون أفضل من هنا..

ثم جالت (سارة) بعينيها الصغيرتين في المكان، قبل أن تبتسم وتقول:

- لكم يبدو المكان أفضل بعد موت مسز (بارتريدج)..

أمّا المحقق (فيسك) فأخذ يتناول طعامه في صمت،

متجاهلاً كل إشارات (كونتز) الخفية تجاه (ميراندا) كأنه يطلب منه أن يقبض عليها الآن ويعدمها فوق مائدة الطعام.. وكانت (مارثا) العجوز هي الوحيدة التي لم تأكل، بل أخذت تدخن في شراهة، وهي تردد لنفسها:

- الحمقى.. سيعرفون في النهاية أنهم حمقى.. وسأخبرهم أنني أخبرتهم بهذا لكنهم لم يصغوا لي..

كان هذا في اللحظة التي بصقت فيها تلك الطفلة ذلك الشيء المعدني في طبقها، قبل أن تكتشف ماهيته، لتبدأ في الصراخ الهستيري.. وعلى مائدتها تعلقت عيون الكل بذلك الخاتم الصغير الذي استقر في صحنها..

خاتم مسز (بارتريدج)!!

هكذا بدأ الصراخ على طاولتها، قبل أن ينتشر كالنار في الهشيم في باقي الطاولات.. هكذا الأطفال والنساء.. يصرخون أولاً، ثم يفهمون ثانيًا..

وفي اللحظة التي تحولت فيها صالة الطعام إلى

مهرجان للصراخ، كان (بيرك) يفرغ الإناء الضخم الذي يطهيان فيه اللحم، لتسقط منه بعض الأصابع البشرية..

الأطفال يصرخون.. المشرفون يتساءلون.. (فيسك) ورجاله يحاولون عبثًا السيطرة على الموقف، ومن وسط هذا كله تولد الحقيقة الرهيبة في بطء..

لقد كانت وجبة الإفطار التي لن تظل في أحشائهم طويلاً هي...

مسز (بارتريدج) ذاتها!!

* * *

بعد هذا بدأ مهرجان القيء وتنافس فيه الجميع!

ولأول مرة منذ وصوله إلى الملجأ، بدت الثورة في صوت المحقق (فيسك)، وهو يصيح:

- أريد التوأمين للإستجواب.. حالاً..

فلم تمض دقائق حتى كانت أحد غرف الملجأ تحويه

والتوأمان اللذان أخذا يرتجفان، والصدمة لا تزال واضحة عليهما.. اليوم سيكون عليهما أن يشرحا كيف طهيا مسز (باترتريدج)، وبالتالي كيف حصلا على جثتها، والأهم من هذا كله..

- لماذا قتلتماها؟

قالها (فيسك) لينتفض (مارك) صائحًا:

- لم نفعلها.. أقسم لك أننا لم نفعلها..

- حقًا؟.. كيف وصلت إلى آنية الطهو إذن؟.. كيف جرؤتما على هذا التصرف الشنيع؟

- لم نفعلها.. لا أعرف كيف حدث هذا، لكننا بريئان!

وهكذا بدأ التوأمان يشرحان لـ (فيسك) خطوات حصولهما على اللحم، منذ أن يأتي به التاجر وحتى يتحول إلى وجبة ضئيلة على طبق كل طفل، ليزداد موقفهما سوءًا..

لا أحد يدخل المطبخ سواهما، ولا أحد يمكنه أن

يرتكب هذه.. هذه (الكارثة) دون علمهما، وبالتالي يكون الإستنتاج الوحيد الذي يملكه (فيسك) هو:

- لقد قتلتما مسز (بارتريدج) وتخلصتما من جثتها بأشنع طريقة ممكنة.. إنني أوجه لكما اتهامًا رسميًا..

ثم أشار لرجاله دون أن يمنحهما فرصة للرد:

- تحفظوا عليهما.. لم أنته منهما بعد..

لينقل رجالة التوأمين المسكينين، إلى حيث سيقتنعان أنهما من قتلا مسز (بارتريدج)، وحيث سيعترفان بما هو أكثر من هذا لو لزم الأمر..

ومال أحد رجال (فيسك) عليه ليهمس:

- سننهي التحقيق عند هذا الحد؟

- لا.. إنها القضية الأولى..

ثم لمعت عيناه حماسًا قبل أن يردف:

- لا تزال أمامنا قضية التجسس.. أريد (ميراندا)

أمامي.. الآن..

* * *

وكانت (ميراندا) في هذه اللحظة مع (جوزيف) في غرفته..

كان يجلس أمامها صامتًا على فراشه، بينما جلست (ميراندا) على المقعد الوحيد في الغرفة لتقول:

- لن تنتهي هذه المأساة.. إنها مجرد بداية.. (بيتر بيشوب) لن يتوقف عند هذا الحد..

فلا يرد (جوزيف).. لا يسمعها أصلاً، لكنها تواصل:

- و أنت أيها المسكين.. الوحيد الذي رأى الحقيقة، لكنك لا تملك أن ترويها لأحد.. أنت الوحيد الذي يعرف أن الأمر لن ينتهي عند هذا الحد..

يرمقها (جوزيف) بنظراته الجامدة، ثم يمد يده أسفل حشية الفراش ليخرج النقود التي حصل عليها ليلة أمس، فتنظر لها (ميراندا) بتأثر:

- (جوزيف).. أعدت إلى المبارايات مرة أخرى؟

لا يرد (جوزيف).. بل يهز يده التي تمسك النقود، لتأخذها منه (ميراندا) مبتسمة في حزن:

- لا بأس.. سأفعل ما تريده.. فقط عدني أنك لن تعرض نفسك للخطر..

فيشير (جوزيف) إلى الكدمات في رأسه، لتلاحظها (ميراندا) لأول مرة، فتمد يدها لتتحسسها في رفق، قبل أن تقول:

- سآتي بـ (مارثا).. هي ستعتني بك..

لكن أحد رجال (فيسك) ظهر عند باب الغرفة، ليقول في صرامة:

- أنسة (ميراندا).. المحقق (فيسك) يريد أن يراك.. الآن..

فتهز (ميراندا) رأسها مستسلمة، وتنظر لـ (جوزيف)

مرة أخيرة لتقول:

- يومًا ما سيعرف الكل ما تفعله من أجلهم..

ثم تبتعد مع رجل (فيسك)، تاركة (جوزيف) الذي انتظر حتى غابت، قبل أن يخرج خطابًا جديدًا من أسفل حشية فراشه.. خطاب قرأت فيه:

- الليلة.. عند الجسر.. ستكون هناك أسلحة!

* * *

(9)

ببطء جلست (ميراندا) أمام المحقق (فيسك)، لتقول بصوتها الخافت:

- طلبت رؤيتي..

فأجابها وهو ينظر لها في شك واضح:

- آنسة (ميراندا).. أيمكنك أن تقرأي هذه الورقة لي من فضلك..

ثم ناولها ورقة كتبت عليها جملة ما بالألمانية، نظرت لها (ميراندا) للحظة، قبل أن تقول:

- لا أعرف هذه اللغة..

- حقًا؟.. ألم تميزي أنها مكتوبة بالألمانية على الأقل؟

- لا.. لست أعرف حرفًا من الألمانية..

فقام (فيسك) من على مقعده، وبدأ يدور حول (ميراندا) وهو يرشقها نظرات شكه، قائلاً:

- لكن ما أعرفه عنك هو أنك تجيدين الألمانية جيدًا.. أنك على علاقة بالألمان..

توقعت عند هذه اللحظة أن تنهار (ميراندا) باكية، لكني فوجئت بها، تجيب في ثبات:

- لا أعرف مصادر معلوماتك، لكن من الواضح أنها خاطئة..

- مصادري لا ترقى إلى الشك..

- كذلك موقفي.. إنني مشرفة في ملجأ، فبم ستفيد

علاقتي بالألمان؟.. كما ترى إننا لا نقف في منشأة عسكرية سرية، لأبيع أسرارها للعدو.. ثم إن الحرب انتهت ولم يعد هناك ألمان أصلاً في شوراع لندن..

فصاح (فيسك) فجأة بطريقة درامية:

- لكن سجونها تكتظ بهم.. وإن آجلاً أو عاجلاً نعرف كل من كانوا يتعاونون معهم أثناء الحرب..

- مستر (فيسك).. أتوجه لي اتهامًا محددًا؟

- ربما.. آنسة (ميراندا).. أين كنت حين قتلت مسز (بارتريدج)؟

- كنت خارج الملجأ..

- أين؟

ترددت (ميراند) لحظة قبل أن تجيب:

- كنت.. كنت أتنزه.. أردت بعض الهواء النقي..

- ألديك ما يثبت هذا؟

- لا..

فتوقف (فيسك) عن الدوران حولها، وأشار لها ليقول في بطء:

- آنسة (ميراندا).. اعلمي أنه ومنذ هذه اللحظة سيكون عليك الإلتزام بعد الخروج من الملجأ مهما كانت الأسباب.. ثم إن..

لكن أحد رجاله اقتحم الغرفة فجأة، ليصيح بتوتر:

- سيد (فيسك).. لقد عثرنا عليها.. أقصد على عظامها..

وصمت لحظة، قبل أن يردف:

- عظام مسز (بارتريدج)..

* * *

في بهو الملجأ تجمع (فيسك) ورجاله و(كونتز) و(شميدت) و(ايمانويل) وبعض من الأطفال الذي لم يجدوا

من يجبرهم على العودة إلى غرفهم..

وكانت أعين الجميع معلقة بالثريا الهائلة في منتصف سقف البهو، ورجل (فيسك) يشرح:

- في البداية ظننا أن الإضاءة ضعيفة لأن المصابيح لم تغير منذ فترة.. ثم حين سقطت العظمة الأولى، أدركت أن هناك سبب آخر لضعف الإضاءة..

ثم ناول عظمة فخذ طويلة لـ (فيسك)، مردفا:

- كما ترى.. العظمة حديثة ولا تزال آثار الدماء وانتزاع اللحم من عليها واضحة.. وحين صعدنا إلى الطابق العلوي لننظر إلى الثريا عن كثب وجدنا الهيكل كاملاً.. لم نحركه من مكانه حتى يأتي فريق المعمل الجنائي، لكننا التقطنا صورة واضحة..

وناول الصورة لـ (فيسك) ليرى فيها الهيكل العظمي لمسز (بارتريدج) وقد علق مقلوبًا بحيث تخفيه الثريا الضخمة، فنظر لها هذا الأخير بامتعاض، قبل أن يقول

أخيرًا:

- ما يحدث هنا غير طبيعي بالمرة.. الأمر يتجاوز كونه جريمة قتل بكثير..

وعاد ينظر إلى الصورة الرهيبة، قبل أن يقول:

- أعتقد أنه من الأفضل أن نرسل له.. لـ (هاري برايس)..

* * *

هكذا بدأت مرحلة سجن الأطفال في غرفهم.. وحتى وجبات الطعام أصبحت تقدم لهم فيها، بعد أن تولى رجال (فيسك) عملية تدبيرها، إلى أن يعثروا على طباخين جديدن..

وحين أتي رجال المعمل الجنائي، بدأت عملية انتزاع الهيكل من مكانه، ثم بدأت مرحلة التقاط الصور وفحص العظام التي انتهت بلا شيء تقريبًا..

شيء ما غير طبيعي نزع رأس مسز (بارتريدج) من

على جسدها، ونزع اللحم عن عظامها قبل أن يعلق هيكلها بهذه الصورة..

حتى التوأمان (مارك) و(بيرك) لن يقويا على هذا كله، لكنهما مشتبهان لا بأس بهما، ولهذا قرّر (فيسك) أن يظلا في حوزته حتى يجد بديلاً مناسبًا..

الآن تتحول القضية كلها إلى (هاري برايس) الذي لم يأت بعد، والذي لا أعرف عنه أي شيء، لكني سأعرف بعد قليل الكثير.. فالهمسات التي كانت تردد اسم (بيتر بيشوب) سابقًا، أصبحت تردد اسمه الآن..

قالت عنه (ايمانويل) بلا اهتمام حقيقي، لـ (كونتز):

- (هاري برايس).. قرأت عنه ذات مرة، لكني لم أهتم به..

- الاسم يبدو لي مألوفًا، لكني لا أذكر لماذا؟

- إنه صائد الأشباح الشهير.. أتذكر تلك الصورة التي نشرت منذ أعوام لرجل، يقف شبح امرأة جواره؟

فصاح (كونتز) منبهرًا:

- أهو ذات الرجل؟.. يا إلهي.. لقد تذكرته.. إنه من كشف سر منزل أبرشية (بورلي)..

- هو ذاته..

- يقولون عنه أنه عبقري وذو قدرات خارقة..

- ربما.. سيأتي إلى هنا وسنتأكد من هذا عمليًا..

أمّا (مارثا) العجوز، فكان لها رأي بديل صارحت به (ميراندا) في غرفتها:

- ذلك النصاب.. كيف يزعم رجل ناضج مثله القدرة على الإتصال بالموتى..

فابتسمت (ميراندا) لأول مرة منذ رأيتها لتقول:

- أتخيل لو حاول الإتصال بمسز (بارتريدج).. ستلعن أجداده وستتهمه بالتطفل..

- سيستحق هذا لو فعل.. الكل يتجاهل الفاعل

الحقيقي، ويبحث عن شيء آخر ليضيع وقته.. لو أرادوا العثور على القاتل، فعليهم العثور عليه.. على (بيتر بيشوب)..

فسألتها (ميراندا) بحذر:

- ألا زلت تعتقدين أنه حي؟

- بل واثقة.. من غيره يقدر على ما حدث؟.. أنت بالذات تعرفين أنه لم يمت ليلة الحريق..

فأجابت (ميراندا) على الفور:

- قلت لك إنني لست واثقة..

- لكنك رأيت ما أصابه مثلي.. رأيت كيف استطال جسده وأخذ يجوب الملجأ وسط النيران التي لم تمسه بضرر.. رأيته يـ...

فهبت (ميراندا) واقفة، لتقاطعها قائلة:

- دكتور (مارثا).. أرجوك.. لا أريد أن أتحدث في

هذا الموضوع..

فمنحتها (مارثا) نظرة طويلة متفحصة، قبل أن تقول:

- لازلت تشعرين بالذنب؟

- سأعود إلى غرفتي.. إنني في حاجة إلى النوم..

ودون أن تمنحها فرصة للرد، غادرت (ميراندا) الغرفة بخطوات سريعة، فتبعتها عبر الممر الطويل أمام الغرف، حتى توقفت فجأة لتستند على الحائط، ولتنفجر في بكاء حار حزين..

هذه المرأة تخفي أسرارًا في أعماقها أكثر من قدرتها على الإحتمال..

أكثر بكثير..

* * *

(10)

وحين أتى المساء تسلل (جوزيف) خارجًا من الملجأ، حاملاً قناعه وخنجرًا صغيرًا في حقيبته..

عند الجسر انتظره الأنيق وقد بدا عليه التوتر هذه المرة، وهو يقول:

- *(جوزيف).. لست مضطرًا لخوض هذه المباراة، الإصابات قد تكون فادحة هذه المرة..*

لكن (جوزيف) لم يبد عليه التردد حتى، فقال الأنيق:

- الرهان سيكون خمسة أضعاف المعتاد.. ونسبتك

هذه المرة ستبلغ النصف، لكني أحذرك مرة أخرى.. هذه المباريات تسيل فيها الدماء بكثرة.. وقد تصاب بإعاقة جديدة هذه المرة، إن لم تفقد حياتك أصلاً..

فأخرج (جوزيف) الخنجر من حقيبته ودسه في حزامه، في إشارة واضحة بأنه مستعد.. ووقفت أنا إلى جواره ألعن حماقته دون أن يشعر بي..

حتى في مدينة مثل لندن يمكنك أن تحصل على المال بألف طريقة، دون أن تعرض حياتك إلى الخطر بهذه الصورة.. ثم إنه يمنح المال في النهاية لـ (ميراندا) دون أن يستمتع به، فما الذي يجبره على هذه الحياة؟

ما هو سرك يا (جوزيف) وكيف سينتهي بك الحال مذبوحًا يا صديقي؟؟

تبعتهما إلى حارات لندن، ومنها إلى مبنى جديد هبطا إلى قبوه لأجد أن الحلبة قد اختلفت هذه المرة.. هذه المرة كانت أسوار معدنية تحيط بالحلبة، وكان الجمهور يحافظ

على مسافة آمنة بينه وبين أرض الحلبة.. وكانت آثار دماء قديمة تغطي هذا كله، مما يمنحك فكرة عن المذبحة التي ستحدث بعد قليل..

أهكذا سيموت (جوزيف)؟.. أهنا سيذبح وسيتخلصون من جثته، بينما يقتسم منافسه ومديره الأرباح؟..

أتكون هذه نهاية قصتي، دون أن أعرف سر ما حدث ويحدث في الملجأ؟!

ربما..

من يدري؟

* * *

من الواضح أن الأحداث المثيرة لا تحدث في الملجأ إلا حين أغادره مع (جوزيف)، لذا سنترك المباراة الدموية التي ستبدأ بعد قليل، وسنعود إلى الملجأ، لأحكي لكم ما عرفته لاحقًا..

سنعود إلى المحقق (فيسك) الذي رفع صوته إلى

على مسافة آمنة بينه وبين أرض الحلبة.. وكانت آثار دماء قديمة تغطي هذا كله، مما يمنحك فكرة عن المذبحة التي ستحدث بعد قليل..

أهكذا سيموت (جوزيف)؟.. أهنا سيذبح وسيتخلصون من جثته، بينما يقتسم منافسه ومديره الأرباح؟..

أتكون هذه نهاية قصتي، دون أن أعرف سر ما حدث ويحدث في الملجأ؟!

ربما..

من يدري؟

* * *

من الواضح أن الأحداث المثيرة لا تحدث في الملجأ إلا حين أغادره مع (جوزيف)، لذا سنترك المباراة الدموية التي ستبدأ بعد قليل، وسنعود إلى الملجأ، لأحكي لكم ما عرفته لاحقًا..

سنعود إلى المحقق (فيسك) الذي رفع صوته إلى

أقصى درجة، لكي يسمعه (شميدت)، قائلاً:

- هل تذكر ما حدث ليلة الحريق؟

فأجابه (شميدت) بعصبية:

- بالطبع أذكر.. لقد فقدت سمعي، لكني لم أفقد ذاكرتي.. لماذا تسأل؟

كاد (فيسك) ينفجر فيه غاضبًا، لكنه استجمع غضبه في صوته، صائحًا:

- أريد أن أعرف ما الذي حدث بالضبط..

- لا بأس.. سأحكي لك إذن.. لقد بدأ الحريق في الغرفة التي كان ينام فيها (بيتر بيشوب)..

ورفع عينيه إلى سماء الغرفة، كأنه يستعيد رؤية ما حدث، قبل أن يواصل:

- لقد كانت النيران تلتهم كل شيء.. كل شيء.. لم تكن

أقصى درجة، لكي يسمعه (شميدت)، قائلاً:

- هل تذكر ما حدث ليلة الحريق؟

فأجابه (شميدت) بعصبية:

- بالطبع أذكر.. لقد فقدت سمعي، لكني لم أفقد ذاكرتي.. لماذا تسأل؟

كاد (فيسك) ينفجر فيه غاضبًا، لكنه استجمع غضبه في صوته، صائحًا:

- أريد أن أعرف ما الذي حدث بالضبط..

- لا بأس.. سأحكي لك إذن.. لقد بدأ الحريق في الغرفة التي كان ينام فيها (بيتر بيشوب)..

ورفع عينيه إلى سماء الغرفة، كأنه يستعيد رؤية ما حدث، قبل أن يواصل:

- لقد كانت النيران تلتهم كل شيء.. كل شيء.. لم تكن

نيرانًا طبيعية قط..

* * *

يقول (شميدت):

- في تلك الليلة وقبل أن يبدأ الحريق زارني (بيتر) في غرفتي، وكان لديه تساؤل غريب حقًا.. كان يريد أن يعرف إن كانوا قد شرحوا جثة والده أم لا.. بالطبع لم أعرف إجابة سؤاله العجيب، فسألني إن كانوا قد أحرقوا جثته كما طلب أم دفنوها كما هي، ومرة أخرى لم أتمكن من منحه جوابًا أكيدًا..

- ألم تسأله عن سر اهتمامه بهذا الموضوع؟

- بالطبع سألته لكنه لم يجبني.. (بيتر) يسأل ولا يجيب.. هذا ما يعرفه الكل عنه.. ثم كان سؤاله الأخير لي هو.. هل عدت من الموت من قبل يا مستر (شميدت)؟

قالها ببطء.. قالها بخوف..

وبصوت مبحوح لفرط الإنفعال، قال (فيسك):

- طفل غريب حقًا.. وما الذي حدث بعدها؟

- في تلك الليلة رآه زملاؤه يأوي إلى فراشه في ميعاده.. ثم رأوا ذلك الضوء الساطع وقد انبعث من أسفل ملاءته، قبل أن تشتعل النيران في فراشه فجأة.. نيران غير طبيعية بالمرة.. الأطفال حكوا لي كيف أنها كانت تنتشر بسرعة غير طبيعية.. كيف كانت تتشكل على هيئة طفل يجري ضاحكًا.. كيف بدأت تطاردهم.. أنا رأيت النيران ورأيت كيف التهمت ثلثي الملجأ في لحظات، قبل أن تخبو فجأة..

فصاح (فيسك) مذهولاً:

- خبت فجأة؟!

- لحسن الحظ.. نيران كهذه لم يكن لنا أن نسيطر عليها مهما حاولنا، لكن الخسائر كانت فادحة.. خسائر في المبنى، فبمعجزة ما لم يمت في هذه الليلة سواه..

- أأنت واثق؟.. أعني أأنت واثق من موته؟

- لقد حملت جثته المتفحمة من على فراشه بنفسي.. بل وأشرفت على نقلها أيضًا إلى المشرحة ومنها إلى قبر عند أطراف المدينة.. يمكنني أن آخذك إلى هناك لتراه بنفسك..

قالها فصمت (فيسك) لبرهة، قبل أن يقول أخيرًا بنوع من الشرود:

- ما سأخبرك به سري للغاية وسأتوقع منك ألا يعرفه أحد سوانا.. أنا أعرف أين يقع قبر (بيتر بيشوب).. أعرف لأنه فتح منذ عدة أشهر بواسطة مجهول.. مجهول ترك القبر خاويًا..

وازداد شروده قبل أن يردف:

- إما هذا.. أو أن (بيتر بيشوب) خرج من قبره بنفسه!

* * *

(11)

قوانين المباريات التي تستخدم فيها الأسلحة واضحة ولا تقبل النقاش..

يمكنك أن تستخدم السلاح الذي تريده على ألا تستخدمه في الطعن المباشر.. الجروح الوحيدة التي من حقك أن تسببها هي الجروح القطعية لا النافذة، لكن حتى هذه الإصابات لها قواعد..

ممنوع استخدام السلاح مع العنق أو الوجه أو الأوتار.. المطلوب من هذه الإصابات أن تسبب لمنافسك آلامًا تفوق قدرته على التحمل، أو أن تجعله ينزف دماءه

حتى تخور قواه.. لكن هذا لا يعني حد خطورة المواجهة..

دعك من الندوب التي ستتركها والتشوهات التي قد تسببها، في بعض الحالات ينزف المنافس حتى يموت، وفي هذه الحالة يتم إعلان فوز المتباري الثاني، لكن النقود يخصم منها تكاليف الدفن وإخراس الألسن.. لا تنس أن هذه المباريات غير قانونية، وهذا لا يعني أن رجال الشرطة غافلون عنها، لكنهم فقط يتعاطون ما يكفيهم ليديروا أعينهم بعيدًا عمّا يحدث..

تعقد هذه المبارايات في حلبات محاطة بأسوار معدنية، لضمان عدم خروج أحد منها حتى تنتهي المباراة، والإستسلام مسموح به، لكن لا أحد يستسلم في هذه المباريات..

في الأغلب لا يجد الوقت ليفعل!..

كل هذا يعرفه (جوزيف) ويستوعبه جيدًا، وكل هذا لم يفت في عضده حين دخل إلى الحلبة حاملاً خنجره ومرتديًا

قناعه، في انتظار غريمه الذي ستمتزج دماؤه بدمائه حالاً.. أمّا الجمهور فتحول إلى ذئاب مسعورة تتعطش للدماء التي ستتناثر على وجههم بعد قليل..

غريم (جوزيف) هذه المرة كان أيرلنديًا يدعى (جاك سبيرنتو).. لك أن تتخيل المعتاد.. الشعر الناري الطويل، والأنف المحمرة من السكر الدائم، و(جاك) أفرط في الشراب هذه الليلة لسببين..

أولاً ليقلل من شعوره بالألم.. وثانيًا ليحدث أكبر قدر ممكن من الضرر..

بقامته المديدة وجسده الرشيق والقفازين المزودين بمخالب حادة، دخل (جاك) الحلبة، ليعلن مسؤول الرهانات بدء المباراة.. ولتنطلق الصرخات الحماسية من مئات الحناجر..

أمّا (جوزيف) و(جاك) فأخذا يدوران حول بعضهما البعض، باحثين عن ثغرة تصلح للهجوم، دون التعرض

لإصابة خطرة.. ثم تراجع (جاك) فجأة إلى ركن الحلبة، ليستند عليها بظهره، وليدير وجهه بهدوء شديد، كأنه يدعو (جوزيف) لهجوم مضمون، فلبى هذا الأخير نداءه..

انقض عليه بالخنجر بسرعة واحترافية، لكن (جاك) انحنى في اللحظة الأخيرة، ليمزق عضلات بطن (جوزيف) بمخالبه، قبل أن يركله في جرحه، ليسقط (جوزيف) على ظهره مضرجًا في دمائه..

لكنه يرتد من سقطته بسرعة عجيبة، ليطوح بالخنجر في الهواء، ليتمزق صدر (جاك) الذي لم يشعر حتى بجرحه، حتى بدأ ينزف بغزارة..

ثم يعودان للدوران حول بعضهما البعض..

نمران حبيسان.. تسيل الدماء من كل واحد منهما ليثير جنون الآخر.. ومن حولهم يصرخ الجميع مطالبين بالمزيد..

ينقض (جاك) هذه المرة، لكن (جوزيف) يتحاشى

ضربته ويمسك به من عنقه، ليطوحه إلى ركن الحلبة، ليرتد (جاك) إليه بمخالبه، فيتفاداه (جوزيف) بالكاد.. (جاك) يملك الرشاقة، لكن (جوزيف) لديه الخبرة.. لذا ألقى بخنجره بطريقة فنية، ليحتك نصله بظهر (جاك)، قبل أن يسقط أرضًا، ليصرخ (جاك) في ألم..

على الفور قفز (جوزيف) ليستعيد خنجره، لكن (جاك) قفز تجاهه فجأة وقد أعماه الخمر والغضب، ليغرس مخالبه الحادة في كتفي (جوزيف) الذي سقط على ركبتيه، والجمهور يشهق في انفعال..

مخالفة صريحة لقوانين اللعبة، يسرع على إثرها مدير الرهانات إلى بوابة الحلبة، لكن (جوزيف) يشير له كيلا يتدخل.. وبيديه ضرب (جاك) في صدره ليطير إلى الوراء وليسقط على ظهره، فقام (جوزيف) ببطء ورفع خنجره في الهواء..

هنا يصرخ أحدهم في هستريا:

- اقتله.. اقتله..

فيرددها الجمهور من بعده:

- اقتله.. اقتله..

فيطوح (جوزيف) ذراعه إلى الوراء:

- اقتله.. اقتله..

فيقترب الجمهور من الأسوار المعدنية ويبدأون في الطرق عليها:

- اقتله.. قتله..

فيصرخ (جاك) مفزوعًا:

- اقتله.. اقتله..

فيلقي (جوزيف) بالخنجر..

وتنتهي المباراة!

* * *

نعود إلى الأحداث التي عرفتها متأخرًا للأسف.. وهي كثيرة كما سترى..

ففي اللحظة التي ألقى فيها (جوزيف) بخنجره، كانت (مارثا) العجوز تجوب ممرات الملجأ في عصبية.. لقد احتست بعض أكواب الشراب بعد أن تركتها (ميراندا)، فعاد غضبها المدفون يطفو إلى السطح..

لا أحد يصدق (مارثا) العجوز.. وكان هذا يثير جنونها بشدة!

طوال سنوات حياتها وهي تنتظر اليوم الذي سيبيض فيه شعر رأسها، ليتحول إلى تاج الحكمة.. حينها سيتحول أي شيء تقوله، إلى قول مأثور يستحق التدوين، لتتناقله الأجيال.. حينها ستصدر أحكامها وستملأ آذان مستمعيها بكل شيء وأي شيء.. حينها سيهابها الجميع وسيصغون لها جيدًا قبل أن ينفذوا ما تقول بلا مناقشة..

لكن العكس ما حدث.. الكل أصبح يتعامل معها على

كونها (مارثا) العجوز التي فقدت عقلها أو جزءًا منه.. (مارثا) التي يصغي لها الكل، ليهزّوا رؤوسهم في إشفاق.. (مارثا) التي لا يصدقها أحد..

لقد أخبرتهم أن (بيتر بيشوب) لا يزال على قيد الحياة، لكنهم يرفضون تصديقها.. والأسوأ أنهم لا يعارضونها حتى!..

تخبرهم أنه حي، فيهزون رؤوسهم، وينتهي الموضوع عند هذا الحد.. كأنهم يرفضون أن يضيعوا وقتهم معها..

لكن لا بأس..

الليلة ستثبت لهم أنهم حمقى.. الليلة ستثبت لهم أنها كانت محقة طيلة الوقت..

ستثبت لهم أن (بيتر بيشوب) حيّ..

هكذا أخذت تجوب ممرات الملجأ بخطوات سريعة،

حتى بدأت تلهث.. الكل نائم أو في طريقه للنوم، ولكنهم حين يستيقظون، سيلتفون حولها بأعين منبهرة، وسيتوسلون إليها لتخبرهم بكل شيء وأي شيء..

تلهث.. تلهث.. لكنها لا تبطيء..

تلهث.. تلهث.. لكنها تصل أخيرًا إلى ذلك الجزء المعزول من الممرات في الطابق الأول.. إلى ذلك الركن الذي تغطيه الظلال..

وقفت أمامه تلتقط أنفاسها، ثم مدت يدها في الظلال فذابتا فيه، حتى لامست الجدار فأخذت تتحسسه حتى لامست أناملها ذلك البروز فدفعته بقوة..

لم يحدث شيء.. دفعته بقوة أكبر، فلم يتزحزح، ليصيبها الجنون، ولتقف لتركله بقدمها حتى كادت تهشمها، حتى تهاوي ذلك الجزء من الجدار فجأة، ليكشف عن كوة صغيرة توارت خلفه طويلاً، وقد أخذت تحدق فيها في انتظار..

هنا اعتدلت (مارثا) العجوز، ثم قالت في حزم:

- أنا أعرف أنك هنا.. اخرج الآن..

فلم يخرج شيء!

- قلت اخرج الآن وإلا..

لكن الكوة أعادت إليها انذارها بصدى واهن، فانحنت على ركبتيها ومدت ذراعها حتى المرفق داخل الكوة، وهي تتمتم:

- سأخرجك بنفسي إذن..

أخذت تعبث بيدها في الظلام للحظات، حتى قبضت أصابعها أخيرًا على تلك اليد الطفولية، فجذبتها على الفور، دون أن تخرج صاحبها..

- كف عن المقاومة واخرج..

لكن اليد تملصت منها فجأة، ثم قبضت على معصمها في لحظة.. ومن داخل الكوة ارتفع صوت هامس، قال:

- الآن أجذب أنا..

ثم جذبتها اليد الطفولية لتشعر (مارثا) بذلك الألم الرهيب في كتفها، قبل أنْ تنفصل ذراعها عن جسدها لتغيب في ظلام الكوة!

هل صرخت؟.. لا أعتقد..

أشياء كهذه حين تحدث لا تأمل فيها، إلا أن تكون الصدمة العصبية قد قتلتك قبل أن تشعر بالألم الحقيقي.. ثم إن أحدًا لم يسمع صراخها في هذه الليلة..

أم أنها لم تجد الوقت لتصرخ؟!

* * *

(12)

لكن (ميراندا) لم تكن في الملجأ هذه الليلة..

بعد أن تركت (مارثا) تظاهرت بالعودة إلى غرفتها والنوم، عالمة أن هناك من يراقبها من رجال (فيسك)، ثم تسللت عبر نافذتها إلى ذلك الإفريز الضيق الذي يقود إلى سلم الطوارئ، لتهبط به إلى الحديقة الخلفية.. إنهم لم يصلحوا السور بعد، لذا لن يكون الهرب من هنا عسيرًا، ورجال (فيسك) لن يتخيلوا أن تقفز هذه الآنسة الواهنة من نافذتها لتهرب..

لكنها لم تكن تنوي الهرب على أية حال.. فقط كان

عليها أن تراه..

لذا أسرعت الخطى مبتعدة عن المكان، وأخذت تتلفت حولها بين الفينة والفينة، بحثًا عن من يتعقبها، فلم تجد.. أخذتها خطواتها إلى أحد الحانات عند أطراف المدينة، فدخلتها لتميل على أذن الساقي، لتهمس فيها بشيء ما، ليقودها الساقي ببساطة إلى الباب الخلفي ومنه إلى سلسلة من الممرات قادتها في النهاية إلى مخرج آخر من الحانة، لتعود إلى شوارع لندن الضيقة المغلفة بالضباب..

لم يكن من الحكمة أن تتواجد في مثل هذا الوقت في مثل هذا المكان، لكنها لم تخش أن تتحول إلى رقم على ملف أحد جرائم القتل والإغتصاب.. (جاك) السفاح نفسه، لن يقنعها بالعودة فالليلة يجب أن تراه..

قادتها الشوارع إلى أطراف المدينة، حتى بلغت أحد المنازل الأنيقة، فدرات حوله لتدخل إلى حديقته الخلفية، ومنها إلى الداخل حيث تصاعدت موسيقى (موتسارت)

الحزينة..

كان منزلاً أنيقًا بحق يبعث على الدفء والطمأنينة، وكانت إضاءته القوية تعلن وبوضوح عن خلوه، إلا من صوت أتى من أحد الغرف، فاتجهت (ميراندا) إليها، وهي تقول:

- أعرف أنني تأخرت، لكن...

- لكنك تأخرت.. فلا داع لإضاعة المزيد من الوقت..

قالها الصوت بالألمانية، في اللحظة التي دخلت فيها (ميراندا) الغرفة لترى صاحبه.. كان رجلاً كبير العظام إن صح القول.. رأسه ضخمة، وذراعاه طويلتان عريضتان، وقامته المديدة تجعلك تشعر أن رأسه سيصطدم بالسقف في أية لحظة.. كان يجلس على مقعد هزاز، شابكًا أصابعه أمام وجهه الذي كانت ملامحه تشي بالغضب..

- عرفت أن رجال اسكوتلانديار معكم في الملجأ..

فأجابت (ميراندا) وهي تقف أمامه في احترام وبذات

لغته:

- نعم منذ الأمس.. لقد قُتِلتْ مسز (بارتريدج)..

- أعرف.. كما أعرف أنها البداية لا أكثر..

- أيجب أن تتحدث بالألمانية؟.. أنت تعرف أنني أخشى أن يسمعنا أحد..

فهب الرجل حتى كاد يصدم رأسه بالسقف، صائحًا:

- وأنت تعرفين أنني أمقت من يخافون..

فكادت (ميراندا) ترد عليه، قبل أن تقرر أن تبتلع لسانها وتلوذ بالصمت، ليقول هو وقد بدأ يذرع الغرفة جيئة وذهابًا:

- أنت تعرفين ما عليك فعله.. أليس كذلك؟

- أعرف..

- أريد أن أعرف ما سيحدث أولاً فأول، فالموقف لم يعد..

لكنه بتر عبارته حين فوجيء بثلاث من رجال (فيسك) يقتحمون الغرفة ومسدساتهم في أيديهم، وأولهم يصيح في انتصار:

- سقطتِ أيتها الجاسوسة..

- !!!

* * *

أما الأنيق فلم يتوقف عن الضحك حتى بلغ الجسر هو و(جوزيف)..

كان يتذكر ما حدث فيضحك بشدة تدمع معها عيناه.. ثم يقول:

- أنت عبقري يا (جوزيف).. عبقري..

والواقع أنني كنت أشاركه هذا الرأي على الرغم من رأيي في المباريات أساسًا.. فما فعله (جوزيف) كان ذكيًا بحق..

لقد ألقى بخنجره بحيث يصطدم مقبضه بجبهة (جاك) الذي فقد الوعي على الفور، ليعلقه (جوزيف) بحزامه في سقف الحلبة المعدني، قبل أن يشير للجمهور بما معناه.. إنه لكم..

هكذا اندفع العشرات داخل أسوار الحلبة المعدنية، حتى تحول الأمر إلى مهزلة ضاعت فيها صرخات منظم الرهانات إلى الأبد..

بهذا نال (جاك) جزاءه، وبهذا انتهت المباراة..

وقال الأنيق وهو يخرج من جيبه بعض الأوراق المالية:

- هاك ما استطعت إنقاذه من نقود الليلة.. خذهم.. لست في حاجة إليهم..

فتلقى منه (جوزيف) النقود بلا اهتمام.. فقط بدا عليه إرهاق شديد، فجروحه التي توقفت عن النزيف، كلفته كمًا لا بأس به من الدماء..

- سأتركك لترتاح لفترة.. هذا حقك.. اعتن بنفسك يا (جوزيف)..

قالها ثم ربت على كتف (جوزيف) قبل أن يتركه ليبتعد في هدوء، ليبتلعه ضباب لندن الحزين.. أمّا (جوزيف) فأخذ يجر قدميه عائدًا إلى الملجأ، وعلى وجهه ذات التعبير الجامد الذي لا يتغير.. وحين يعود، سيعطي هذه النقود لـ (ميراندا) لسبب ما..

هكذا ينتهي يوم جديد لي هنا دون أن أفهم شيئًا مما يحدث..

هكذا سو...

- توقف..

ارتفع بها صوت غاضب مألوف، فالتفت أنا و(جوزيف) لنرى صاحبه.. (جاك) الذي اكتظت معالمه بالكدمات، وقد أحاط به ثلاث رجال، ارتدوا قبضات معدنية مدببة الأطراف..

- أتظن أنك ستسخر مني وتنجو؟.. الليلة.. الليلة ستكون نهايتك يا (جوزيف)..

* * *

وكان (كونتز) في هذا الوقت يحلم..

لقد اعتاد أن يخلد إلى فراشه مبكرًا، وكان ممن يتمتعون بموهبة إغلاق العينين للنوم على الفور التي لم أحظ بها للأسف.. هكذا لا تمر دقيقة عليه حتى تنتظم أنفاسه وتبدأ الأحلام..

وأحلام (كونتز) لا تهمنا في شيء لحسن الحظ، لكن أن يقطعها ذلك الصوت العجيب، فهذا ما يستحق ذكره..

كان صوت خطوات ثقيلة متباعدة، كأن صاحبها يخطو الخطوة ثم ينتظر بعدها طويلاً قبل أن يخطو الأخرى.. وكانت خطواته لزجة!

كأنك تسير على سائل لزج.. ثم أضف إلى هذا صوت التنفس الثقيل، الذي تحشرج ليخرج منه:

- *كوووووووووووووووووونتززززززز*

فيتململ (كونتز) في فراشه دون أن يستيقظ..

خطوة لزجة.. تنفس ثقيل.. ثم:

- *كوووووووووووووووووووونتززززززز*

فيفتح (كونتز) عيناه بانزعاج، صائحًا بصوت ناعس:

- من الذي؟..

خطوة لزجة.. تنفس ثقيل.. ثم طرقات أثقل على باب غرفته:

- *كوووووووووووووووونتزززززززززززز..*

لو كنت مكانه لما فتحت الباب، لكنه أحمق!

لذا هبّ من على فراشه في سرعة، وأسرع إلى الباب يفتحه وهو يقول:

- لحظة.. من؟.. الوقت..

ثم ذابت حروفه في صرخة طويلة أطلقها حين رأى

من الطارق..

فأمامه وقفت (مارثا) وقد أغرقت الدماء التي أخذت تسيل من موضع ذراعها المفقود ملابسها، وقد أمسكت بيدها الأخرى ذراعها التي لا تزال تقطر بالدماء.. وكانت تبتسم!

- (مارثا).. يا إلهي!.. ما الذي؟؟

فخطت (مارثا) خطوة لزجة أخرى، ثم اتسعت ابتسامتها، لتجيب وهي تمد يدها بذراعها المبتور:

- انظر ما الذي أحضره لي (بيتر).. إنه ولد طيب..

قالتها ثم سقطت أخيرًا لتضع حدًا لخط الدماء الذي كانت تمدّه خلفها.. زاغت عيناها فجأة وتلاشت ابتسامتها في شهقة قوية، قبل أن تسقط على قدمي (كونتز) الذي قفز إلى الوراء كالملسوع..

- رباه.. ما الذي حدث؟!

وطافت عيناه بالدماء التي لوثت الممر كله، كأنه

يبحث فيها عن جواب..

لكنه لم يجد..

* * *

هكذا أسرع (كونتز) إلى غرفة (شميدت) وهو يرتجف من قمة رأسه وحتى إخمص قدميه..

كانت غرفة (شميدت) هي الأقرب إليه، وكان هو على وشك الإصابة بإنهيار عصبي لو لم يجد من يصرخ أمامه، لذا أخذ يطرق كالمجنون على باب غرفة العجوز شبه الأصم، فلم يفلح هذا في إيقاظه..

هنا بدأ (كونتز) في الصراخ ليوقظ الملجأ كله:

- النجدددددددددددددة... النجددددددددددددددة...

وهو أسلوب فعّال حقًا، فلم تمض دقيقة حتى كان كل من في الملجأ يفركون أعينهم مستيقظين، يتساءلون عن ذلك الأحمق الذي أيقظهم بهذه الصورة.. حتى (شميدت)

استيقظ ليفتح بابه صائحًا في حنق:

- من الذي؟.. (كونتز)؟!.. أجننت يا رجل؟!

لكن (كونتز) قبض على يده وجذبه جذبًا إلى غرفته حيث استقرت جثة (مارثا) وذراعها، وقد امتدت الدماء في الممر أمامهما، فلم يكد (شميدت) يرى الجثة، حتى صاح:

- يا رب السموات.. من الذي فعلها؟

فأجابه (كونتز) بصوت بحّ من الصراخ:

- لقد.. لقد أتتني هكذا.. و.. وماتت.. لم.. أعرف..

ووصل (فيسك) في هذه اللحظة وآثار النعاس بادية في ملامحه، ليرى الجثة أمامه تلخص له الموقف كله، ليقول ضاغطًا على حروفه:

- إذن فما يحدث هنا لن يتوقف عند هذا الحد..

نعم.. لكن، ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

لحظات ووصل رجال (فيسك) ومن خلفهم بعض

الأطفال الذين أيقظهم صراخ (كونتز)، فصاح فيهم (فيسك) بصرامة:

- عودوا إلى غرفكم.. وأغلقوا الأبواب.. من سيغادر فراشه سأسجنه بنفسي..

فبدأ الأطفال في التراجع والحيرة في أعينهم.. الواقع أنهم كانوا مستعدين لأي شيء بعد أن التهموا مسز (بارتريدج) على الإفطار، لكن (فيسك) لم يكن ليخاطر بموجة ذعر جديدة تجتاح الملجأ، لذا التفت إلى (كونتز) ليقول:

- هل عرف سوانا بما حدث؟

- أنتما الوحيدان..

- عظيم.. سننقل الجثة الليلة وسنخبر الجميع أن (مارثا) غادرت الملجأ لتعمل في مكان آخر..

- لكن.. لكن ذراعها.. أحدهم انتزع ذراعها.. من؟

كيف؟

وهما السؤالان الذان كادا يصيبان (فيسك) بالجنون منذ وصل إلى هنا..

من؟.. وكيف؟

جريمة الليلة تثبت براءة التوأمين وبالتالي لن يعود بإمكانه التحفظ عليهما أكثر من هذا.. لكنها ستعيده إلى نقطة البداية..

هناك قاتل طليق في الملجأ.. والأسوأ أنه لن يتوقف عند هذا الحد..

قاتل قد ينتمي إلى هذا العالم، أو أنه خرج من قبر (بيتر بيشوب)..

أم إنه (بيتر بيشوب)؟!!

هكذا عصفت الأسئلة بعقل (فيسك) المنهك، فقال أخيرًا:

- غدًا يأتي (هاري برايس)..

ثم انتزع ملاءة فراش (كونتز) ليغطي بها جثة (مارثا)، مردفًا:

- و لنأمل أن يمنحنا بعض الأجوبة وإلا.. وإلا فلنغلق هذا الملجأ نهائيًا..

* * *

(13)

وفي غرفة الفتيات بدأ تحليل مفصل للأخبار..

قالت أحد الفتيات بخوف واضح:

- لقد عثروا على جثة جديدة.. في غرفة مستر (كونتز)..

فسألتها أخرى:

- أأنت واثقة؟

- نعم.. لكني لم أعرف من؟.. في الصباح سنعرف بالتأكيد..

- و القاتل؟

- عرفت أن المحقق (فيسك) تتبع الدماء لتقوده إلى ثقب في الجدار.. وعرفت أيضًا أنه عثر هناك على مفاجأة أخرى..

فاتسعت أعين الفتيات في لهفة:

- ماذا؟

- لقد عثر على آثار أقدام حافية.. أقدام طفل..

فشهقت الفتيات في رعب، وهمست إحداهن:

- (بيتر بيشوب)..

لتلتفت كل الأعين في النهاية إلى (سارة) و(لوريل)، لتقول الأولى:

- إنه خطأ (جين).. لقد فتحت أبواب الجحيم علينا..

وقالت (لوريل):

- وهي لم تعد حتى الآن..

قالتها فعادت هذه الحقيقة تسطع في عقول الجميع..

أين ذهبت (جين)؟

ولماذا لم تعد حتى الآن؟؟

قالت أحد الفتيات في قلق:

- عرفت أنهم قد يغلقون الملجأ..

فعادت الشهقات الطفولية تملأ المكان، وتساءلت أخرى:

- ما الذي سيحدث لنا حينها؟

لتجيبها (سارة):

- سينقولوننا إلى ملجأ آخر..

لكن (لوريل) قالت:

- و من أدراك أن هناك ملجأ آخر.. انظري إلى الملجأ الذي نعيش فيه.. لو كان هناك آخر يصلح لنا، فلماذا لم ينقلوننا حتى الآن؟

- ما الذي تعنينه؟

- أعني أنهم لو أغلقوا هذا الملجأ، فيسلقون بنا في الشوارع.. أعني أنه لن يعود هناك طعام أو سقف ننام أسفله..

هكذا ولدت الشائعة وهكذا وجدت طريقها إلى آذان أطفال الملجأ جميعًا، ليفقدوا كلهم رغبتهم في النوم.. هذه الليلة قد تكون آخر ليلة لهم هنا، ومن بعدها..

سيبتلعهم ضباب لندن الحزين!

وفجأة صاح أحدهم:

- النافذة.. انظروا من النافذة..

لم يدر أحد من صاح بها، لكن رؤوس الكل أطلت من نوافذ الملجأ، لتحمل كل الأوجه نظرات ذهول لا حد لها..

فأمامهم.. وعبر بوابة الملجأ كانت فتاة صغيرة تغطى جسدها كله بالدماء الجافة، تدخل إلى الملجأ بخطوات بطيئة ونظرات شاردة..

فتاة تعرفوا عليها بصعوبة، لتتحول همساتهم إلى صرخة رددتها جدران الملجأ:

- (جين).. لقد عادت..

هنا أصبح من المستحيل السيطرة على الموقف، فلم يحاول رجال (فيسك) السيطرة.. فالكل خرج من غرفه ليتحول كل من في الملجأ إلى نهر بشري أخذ يصب خارجه، حتى تجمع الكل أخيرًا حول (جين) التي توقف عن التقدم..

وبمشقة بالغة حفر (فيسك) لنفسه طريقًا في الجدار البشري الذي أحاط بـ (جين)، حتى بلغها أخيرًا، لتنهار هي بين ذراعيه..

وكان الشيء الوحيد الذي همست به في أذنه هو:

- (بيتر).. لقد عاد..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله،

ويليه الجزء الثاني والأخير بإذن الله

الذي عاد!